

جھیلۃ العلایلی

تقدم



ریشہ بہ مریفہ نہی

جاسوسہ جہیون



الى الرئيس المفدى
محمد أنور السادات

وعاشتم لصغرنا الحصن الحصينا
 وذاك شعارنا من عهد مينا
 وهياتم لها نفوس المينا
 علينا كيف لا ؟ لكن رضىنا
 له كل المآثر ما حيينا
 وربان نقود لنا السفينا
 وحاضرك الابى بدا ضمينا
 وتشملنا جميعا ما حيينا
 وظننت فى عروبتنا الظنونا
 ولشقى جرح من فقد العربينا
 ينادى الصحب والخل المعينا
 وأن يرعى بك الوطن الامينا

جميلة الملايلى

إهداء

في طريقك يا جمال
حتى نلتقي بك



إلى من هوّل أنفاس المواطنين إلى قوة منبّهة من السماء،
فجنّاح الباطل وتقيم من المرمم وجوداً.

إلى رائد الأمن والسلام.

إلى من علم الشعوب الحب والوئام.

وجعل من التناغم وثيقة للإتحاد التام.

صحيفة الملايكي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجمع الأدب العربي يقدم جاسوسة صهيون

بقلم: صحيفة العمل على

كان المفروض أن نقدم المؤلفات إلى القراء .. ولكن جملة العلايل
أدست في حاجة إلى التعريف ، فقد اتفق بها القراء في الجمهورية العربية
المتحدة وفي كل بلد يتكلم شعبه أو بعض أهله تلك اللغة الجميلة ناثرة وشاعره
عرفها القراء فيما نشرته منذ بدأت في مستهل صباها الباكر في
أقاصيصها المشورة وخرائطها وأحاسيسها الشعرية في الصحف اليومية
والمجلات الأسبوعية والشهرية ويشهد لها معاصريها من الأدباء والقراء
بكفاحها الأدبي ونشاطها البارز على أوسع نطاق لتدعيم الأدب الحر
الرفيع والدين القديم بما كانت تقيمه من مهرجانات أدبية عابره كان
يخبرها كبار رجال الدولة والوزراء والفقراء والأدباء والشعراء من
مصر والدول العربية عدائياتها الأدبية في صالونها الأسبوعي . وحتى
الآن لم يظهر كفاحاً أدبياً لاظهار إنتاج الأدباء والقراء كما أظهرته جملة
في المهرجانات والندوات منذ عام ١٩٤٦ حتى تحول نشاطها العام إلى
مجلة الأهداف التي أنشأتها بمعاونة زوجها المرحوم سيد ندا لتكون
سجلاً لإنتاج أعضاء مجمع الأدب العربي الذي تأسس سنة ١٩٤٧
ولتجميع الأدباء والقراء الذين يسرون على ضوء تعاليم السماء في كل

بلد اتخذ المشل العليا هدفا يكافح من أجله وإطالما أسهم أعضاء المجمع بجانب الداعين للحرية الشريفة والعدالة الحققة في إبراز معالم الثورة المجيدة منذ أنبثق نور مجراها منذ حمل رايها رائد الثورة جمال عبدالناصر.

ولقد ظلت جميله تواصل السير في درب كفاحها الادي غير وانية ولا متعثرة مضحية بالجهد والمال متمشية مع الثورة الرشيدة وما يتطلبه ركب التحرر من مقاومه الافكار الباطلة وكشف النزعات الغاشمة وتركيز المبادئ السامية الخالده وفق تعاليم المعلم الاول جمال عبدالناصر.

ولما كان هذا العصر يتفجر منه كل يوم قنبلة حدث جديد تمكشفت عن خفايا لم تكن في الحسبان وأن كانت مرت بخاطر الملممين من أهل الإيمان وعمق الوجدان . وفي طليعتهم قائد الثورة .

ومن هذه الخفايا التي تطالعنا من حين إلى حين مؤامرات الجاسوسية الدنيئة التي تلعب دورها ببراعة مخترقة حجب آفاق الشعوب التي تحترق باللهب القوى الداعية للقتال .

وجميع الدول الكبرى والصغرى كانت مسرحاً لمؤامرات الجاسوسية التي استطاعت الصهيونية أن تصطنع وسائلها وأساليبها وفقاً لطبيعة كل شعب وظروفه .

والباحث المحقق يجد أن جميع المشاحنات الاقليمية أو الدولية نشأت إثر وضع بذور الجاسوسية في أرض لم تكن مهيأه من قبل لهذا اللداء الويليل ولم تلبث حتى امتد سلطانها وباتت هي القوى الحاكمة المسيطرة في الخفاء ، وذلك بحكم الدافع الشرير .

هذا الدافع الذى دفع اسرائيل من قبل الى العمل بوسائل غير مشروعة لاغتصاب أرض لم يتدنس من قبل فاتخذوها وطننا بعد أن ضافت الاوطان العالمية بدهائهم وضلالهم ومكرهم .

ولم تكذ اسرائيل تغتصب ما اغتصبته من أرض فلسطين حتى اتخذت الجاسوسية وسيلة الى تجميع قواها للتفرقة بوسائل جراسيسها ولم تلبث حتى كونت طائفة اسمتها — صهيون .. بدعوى أنها الطائفة الداعية لحماية دين موسى عليه السلام والله يعلم أن نبيهم برىء من اثمهم الذميم .

فكيف تدعى صهيون أنها تنتمى لدين موسى وهى تدين بالفساد والشر والانهلال والظلم والافك والطغيان متخذة من أبناءها جراسيسها كاشياطين تنغث لذب السكراهيه والتضليل بين الشعوب المتعابة الآمنة التى عاشت تحت ظلال الحب والوئام منذ نشر الإسلام لواء الاخاء والتعاون والسلام مستنكرا كل ما ينتمى الى الحقد والخصام .

والمرض الوحيد الذى استعصى على اطباء الانسانية قتل جرائيمه وانتزاعها من صلب الانسانية ... مرض الجاسوسية .. اذ ليست له أعراض ظاهرة حتى يمكن تحديد تشخيصه إلا اذا أوتى مكشفه قوة روحانية هائلة وإيمان عميق يقضى على الدهماء .

ولأنحسب عصرنا ابتلى بأشرار الجاسوسية كما ابتلى هذا العصر حيث عرفت اسرائيل كيف تدرب أبناءها على الجاسوسية بمهارة فائقة حتى أصبح كل صهيونى - جاسوس .. وكل جاسوس مهما اختلف دينه أو جسدته رتب ثعالى صهيون اللعنه .

ولئن كان تيار الجاسوسية كالأعاصير والزلازل التي تحتاج كل أمن فجاءه ، وقد يكون أقوى من المظاهرات في مظهره لأن ريحه اللافح يندفع حاملا معه أخطر الأويته ..

ولكن الله سبحانه وتعالى خلق الداء .. وخلق الدواء وإذا كان الداء في صهيون .. فالدواء الذي يحمينا بين أيدينا في صفاء نفوسنا وطهر قلوبنا وشفافية أرواحنا وعمق تفكيرنا وسلامة إيماننا وبعثنا عن الأثرة والأنانية وتوحيد صنفنا وجمع كلمتنا وتبنيه جماهير إلى ساليب إسرائيل.

ولقد انتهت الجمورية العربية المتحدة بعد اكتشاف عدة شبكات للجاسوسية على مدى السنين التي مرت قبل العدوان وبعده إلى الوسائل والأساليب التي تحييك بها خيوط مؤامراتها عن طريق جراسيسها بجانب محاولتها زلزلة اليقين العرب بما قصه الجاسوسية ببراعة ومهارة من أفتعالات لتدر الدموع من عيون مريديها ومن اتخذوها وسيلة لتدمير الكيان العربي .

وليس من المنهكلة الآن في تفهم ومقاومة الجاسوسية إنما المشكلة في ضرورة العمل الجاد لإيقاف نمو بذور الجاسوسية التي ترى خلة في الأراضى العربية والأفريقية والى نجمت الأجيال المقبلة الوقوع في شبكات الجاسوسية التي تفسج بدقة لكي تغرى على التعلق بها .. وفي قصة جاسوسة صهيون ما يبني عن قدرة إسرائيل في تخطي الحواجز لتتال هدفها ولكن الله لا يغفل عن الأثمين. وإذا كان مؤسس ثورة مصر جمال عبد الناصر استطاع منذ حمل راية التضال على أن يقبها شر الإمبريالية والصهيونية حتى اختاره الله إلى جواره فكنا جمال عبد الناصر .

سكراير مجمع الأدب العربي مجهول سيم نمر

مع الذكرى

في إطار أكثر من عشرين عاماً مضت على أحداث هذه القصة يستشعر الولد إلا كبيراً أبطال هذه القصة بمرارة الأحداث وكأنها وليدة الساعة بل يخيل إليه أن عجلة الزمن دارت خلف الأعوام الماضية لتنبه وعيه إلى ضرورة إلزامه بتأدية رسالة تقضى على الجاسوسية لكيلا تتكرر المأس التي حدثت فيما مضى بسببها وفكر طويلاً وكثيراً فيما عساه أن يفعل وهو لا يستطيع أن يجاهر مواطنيه بأنه ابن جاسوسة لعبت دوراً من أخطر أدوار الجاسوسية ولم يستطع مقاومة إحساسه بضرورة توعية الجماهير ولم يصعب عليه إيجاد منفذ يبيع له هذه المجاهرة دون أن يشير إلى نفسه وحسبه أنه أدى الواجب الوطني إزاء المعركة القائمة التي تعاني من الجاسوسية متاعب جمة فوق ما تعانيه من إصرار العدو على اغتصاب الأراضي العربية وعاد الرجل الذي يخطو نحو الأربعين من عمره إلى والده الذي اضطر في آخر ساعة من ساعات حياته إلى مصارحته بحقيقة أمه الذي كان يعتقد حتى هذه اللحظة بأنها مسلمة عربية أصيلة... ودار شريط ذكرى هذا الحديث وكأنه شريط سجل بصوت أبيه لم يزل يترامى إلى مسمعه يصوته الخافث المنكسر الذي تقاطع حروفه أنات الوجيعة والندم والتحسر والالام الذي يحول ألفاظه إلى غضة ومرارة تذوب بين شفقيه فتشعره بضرورة الموت للتخلص من حياته... وصاحب الصوت مشاهد هذه القصة وكأنه شاهداً بعينه وعاشها بكل مجوارحه ووجدانه..

حدثت هذه القصة قبل أن نتأهب للدفاع عن فلسطين وقبل أن يحدث العدوان الجائر وقبل أن يمر بخاطر أى مصرى النفرة الدينية بين اليهودى والمسلم ... وكان طبيعياً — ومألوفاً أن يتزوج المصرى أى امرأة أجنبية تبادل له الشعور والتفكير ، لذا لم يكن غريباً أن يتزوج — إلهامى — بفتاة يهودية تعرف عليها من ترددده على متجر كبير أثناء إعداد جهاز أخته العروس وكانت البائعة حسناء تغرى العين على التطلع إليها مهما كان صاحبها رزينا وقوراً ولفت نظرها اتزانها الذى لم تألفه فى المترددين عليها وعدم محاولته عاداتها فى غير الشراء ، الذى جاء من أجله ولأول مرة منذ التحقت فى هذا المتجر لا يأبه بها المشتري مهما كانت مكانته وأصرت على محاربة اتزانها الخاصة معتمدة على دهائها اليهودى الذى ورائته من جنسها ورغم أنها قضت فى مصر مدة طويلة فإنها حريصة على النمىك بحسيتها .. فإطالما عرض عليها كثير من الشبان المترددين عليها الزواج منها على أن تعتنق الإسلام والجنسية المصرية فكانت ترفض حتى ذلك اليوم الذى جاءها — إلهامى — فرجدها دامعة على غير عادتها مكتئبة تشكو سوء حظها الذى دفعها إلى هذا العمل المرهق الذى لا يتناسب مع رقتها ورهافة حسها كما تقول .. ويشفق إلهامى عليها ويدعوها لتناول الشاى مع أخته العروس التى تعلقت بها وأعجبت بدماثة خلقها وبراعة ذوقها فى انتقاء كل ما اختارته لها .. وتوطدت العلاقة بينهما وبين أخت — إلهامى — ولم ترض بعض شهور حتى تزوجت الأخت وانتقلت إلى بيت زوجها وكانت صغرى الأخوات .. وبدأ إلهامى يشعر بفراغ هائل وانتهزت البائعة الفرصة

وراحت تزوره كل أسبوع في يوم عطلتها لتنظم البيت وترشد الخادم إلى ما يجب عمله طوال الأسبوع وفي خلال هذه المدة . . عرف — إلهامى — من حديثها أنها نزحت من العراق وهي طفلة مع والدها بعد وفاة زوجته التي لم تنجب إلاها ولقد جاء والدها إلى القاهرة يدعوه من تاجر يهودى له صلة قديمة به عندما نشرت الصحف أنباء سوء الحالة الاقتصادية في العراق بسبب أحداث سياسية طارئة ولم يكد والدها يستقر في القاهرة ويعمل تاجراً متجولاً بعض ستين حق توفي في حادث تصادم أتوبيس كان يركبه بعربة لورى في طريق الأرياف . . واحتضن حديقته ابنته وعهد إليها معارنته في متجره لقاء طعامها وملبسها . . ومضت بعض سنين حتى شبت وضافت بعمالها . . لأن المترددين على المتجر من عامة الشعب فقراء لضالة المتجر وبساطة بضاعته الشعبية وفي خلال هذه الفترة تعرفت على شاب يهودى نصحها بترك هذا المتجر والالتحاق بمتجر كبير يتناسب مع إظهار جمالها ورشاقته وصرعان ما التحقت بمتجر كبير بعد أن اعتذرت لصديق والدها بأنها مشغولة عليه وقد باتت تتطلب تكاليف الشباب التي تفوق طاقته . .

ولو كان — إلهامى — خبيراً بنفسية المرأة اليهودية اللاهية

المرروثة لأدرك أنها تحاول أن تحقق حليماً طالما مر بمخاطرها وهي تقوم على تلبية طلبات السيدات والفتيات البارزات في المجتمع راجية في حقد وحسد أن تحل محل إحداهن وتصبح زوجة لرجل مرموق . . وتوارى من ذهنها تمهيداً للجنى وباتت ناهل في الانتران برجل ترى فيه وجه آبهه بتقاليد نفسها الدينية ما دم أبناؤها دينها أقل من مستوى

مطاميرها المادية بكثير . . . وساعداً على تحقيق هذه الأمنية . . . أن
— إلهامى — الذى ساقه القدر فى طريقها أو ساقها القدر فى طريقه .
كلاهما يجهل من التابع ومن المتبوع . فهم تعتقد أن براعتها فى اصطناع
الحب كهيئة لتحقيق حلمها على أى صورة تتمناها . . . وهو اعتقد وقت ذاك
أن الله أراد به خيراً إذ أرسل إليه هذه الحبيبة المحببة الواطئة التى
افتننت به رغم الفارق بين عمره وعمرها وبعد أن كان معترماً ألا يتزوج
طيلة حياته وكم رفض الافتتان بكثيرات من كريمات الأسر العريقة
منذ كان شاباً يافماً حيث آلت إليه مسئولية أخواته البنات بعد وفاة
والديه ولعل عواطفه تذبذبت فى سن الشباب بحكم ازدهار طبيعة السن
لكنه كان يقاوم ابتغاء توفير السعادة لأخواته وتأمين حياتهن
مستغلاً وقت فراغه لتزويد ذهنه بالمعلومات الحديثة التى تعينه على
تعزيز مركزه الاجتماعى وتركيز مستقبله على أعمدة تقيه شر الخلل متخذاً
من صدق وطنيته وحرصه الشديد على القيام بواجبه نحو أسرته
ووطنه على الوجه الأكمل بعيداً عما يشير فى نفسه بواعث اللهو
والنسيان . . . وإطامها تهافتت عليه نساء فانتات وحسنات بارزات
فكان يتجامل ويعرض عنهن فى أدب وكياسه إلى هنا كان حظه فى
ركابه دون أن يدري حتى اضطر إلى ملازمة أخته العروس لشرائه لوازمها
من المتجر الذى تبيع فيه تلك الحسناء اليهودية التى عرفت من
سياق حديثها مع إلهامى أنه — أعزب — وأنه رغم تقدم سنه
— عام — لا يعرف الكثير ولا القليل عن إغراء المراءى . . . ووجدت
الفرصة سانحة لىكى تجذب قلبه وشجعها على ذلك لطفه وتهاونه فى
الشراء ربد ماها الكمين تفننت فى إغرائه محاولة أن تشعره بنظراتها

وبسماتها وكلماتها بأنها وقعت في غرامه في ذفلة من أخته التي كانت تتركهما تتر على مختلف المعروضات لتتقى ما تشاء مؤكدة له بأنه أول رجل فتح قلبها .

ولم تمض أيام بعد زفاف أخته حتى عرض عليها الزواج على شريطة أن تعتنق الإسلام فوافقت لتؤكد له أنها أحبته وتؤثره على دينها وجنسها وانتقلت من الغرفة التي كانت تستأجرها فوق سطح إحدى المنازل القديمة في الضاهر إلى قصر الزوج العظيم وأصبحت زوجة لها من السلطان والمسكنة المرموقة ما لزوجها في المجتمع . ولما تمعن في استمالة قلبه راحت تظهر بمظهر المسلمة الأصيلة عندما بدأت المناورات بين العرب وإسرائيل ثم اشتدت المناورات وتحولات فجأة إلى الحرب لكي يسترد العرب فلسطين المقتصبة وكان من الطبيعي أن تتحول أحداث الزوج مع زوجته من السمر إلى أحداث الحرب القائمة وأن ينصحها بالابتعاد عن الحفلات التي كانت مواعدة بها حرصاً على مشاعر أبناء فلسطين المشردين وقد قصر حديثه وتفكيره على قضية فلسطين بحكم عمله كدبلوماسي من ناحية وإيثاره مصلحة العرب على ما عداها وكانت تشيد دائماً بإخلاصه للعروبة وتشعره بأنها فخورة بوطنيته وعرويته ورغم أنها كانت تضيق بأحاديثه عن فلسطين ومدى تعلقه الشديد بعرويته وتفانيه في خدمة وطنه العربي مع إيثاره مصلحة الوطن على مصلحة نفسه ومصالحها وإيمانه المطلق بعدالة مطالب العرب لسكنها كانت تخفي ضيقها باصطناع مشاركته فإذا غلبها الضيق حاولت أن تصبغه بشفتها على صحته وما يعانيه من إرهاق وجهه . . على أنها لم تشأ أن تبدى ما ينتابها من مشاعر مرة كلما لاح لها تحول زوجها عنها

لانها كما في مهام الدولة وعمدت إلى أن تشعره بالمشاركة والتألم البالغ لما يصيب العرب من سوء تصرف إسرائيل مؤكدة له أن أسرتها كانت يهودية أصيلة متبرئة من صهيون اللعينة التي لا تنتسب لموسى عليه السلام وبلغ من أمعانها في تمثيل دورها أن اطمأن الزوج إلى إشارتها العرب على صهيون وإخلاصها البالغ له وللعروبة ولم يجد غضاضة في أن يبشأ تألمه الشديد لما يعانيه اللاجئين من تشرد وحرمان وقلقه البالغ على مستقبل فلسطين .. وكانت من خلال حديثه تقتنص ما يمكن اغتصاصه من أسرار أعماله السياسية مظهرة له التناهي المطلق واستعدادها لخدمة الوطن العربي ملحة في الرجاء بأن يسمح لها بالتطوع والمشاركة في أي عمل وطني يعود على الوطن العزيز بفائدة .. طلبت ذلك وهي موقنة بأنه سيرفض حتما لعدم مقدراته على فراقها لحظة واحدة ولحاجته الماسة لرعايتها وهو يعمل ليل نهار من أجل نصر العروبة .

عشرون عاماً مضت من عمر زواجهما قبل قيام الحرب فهل تحول الدم الإسرائيلي إلى دم عربي ، وهل تراها تؤثر مصلحة العرب على مصلحة اليهود حقاً .. أنها الآن ترتبط بالإسلام ارتباطاً شرعياً واجتماعياً وقانونياً ويربطها بكل ذلك زوجها وأولادها ولم يعد يربطها باليهود غير ذكريات الطفولة الضئيلة وصلة الرحم ؟ .. ومع ذلك لا تستشعر بغير مشاعر اليهود ولكنها تخفي هذه المشاعر بمهارة فائقة موهمة زوجها بانقطاع صلتها باليهود رغم تردد فقراءهم عليها من حين لآخر الاستجداء وطلب المعونة كلها مسهم الضر وهم يصطنعون أبداً المقرر بل كانت تسعى إليهم وهي بمقر كل منهم عليمه لتمد للمحتاج العون في حين كانت لا تمنح أي سائل عربي أي ملهم إلا إذا اضطرت أمام

زوجها مرضاة له أو أمام معارفها من المصريين . ولم يريد من زوجها
أى شك فى صحة اعتناقها للإسلام وحبها لمصر والعرب ولم يدر أولادها
أو أفراد أسرة زوجها بحقيقة دينها وكل من عرفها أو اتصل بها بعد
الزواج يعلم أنها مسلمة وأن اسمها فاطمة ولكى يضمن زوجها فى التويه
قدمها لأسرته بعد أن اتفق مع أخته التى تعرفها بأنها عربية فقدت أفراد
أسرتها فى حرب فلسطين ونجت هى لأنها كانت فى إحدى مدارس القاهرة .

فلما شبت نيران الحرب بين صهيون والعرب . حركت
نار عواطفها الدفينة تحت رماد تسكتها فإذا بالنار تصهر الدم اليهودى
فيسرى حرارته فى شرايينها وتحولها إلى عاطفة مجردة من القيم وتصبح
لاهم لها غير التفكير فى معاونته صهيون بأية وسيلة وتمنت لو تستطيع
أن نالته حق بحديثهم غير آبهة بالزوج والأولاد لنرد عن صهيون نيران العرب
— ولكن ثمة تفكير وقف بها عند حد فراحت تفكر ما مصيرها
بعد أن تتوقف الحرب ؟ . . . وصهيون لم تقف على قدميها بعد حتى تأويها
وتعينها ، أنها لم تزل تستجدى للعيش فهل تضيف إلى عبثها عبثاً وهى
تريد أن تهون عليها وتساعدها وبعد أن فكرت طويلاً أيقنت أنها
تستطيع معاونة لإسرائيل وهى بعيدة بأى وسيلة .

وفى غفلة الزوج المسكين كان يعيش فقراء اليهود فى مصر على حسابه .
بل هناك كثيرون من اليهود الذين يحتاجون لمساعدات أدبية أو إدارية
تساعدهم بطريقتهم الخاصة إذ المعروف أنها مسلمة . . فما عساها أن تفعل
لكى تساعد صهيون دون أن تظهر فى الميدان . . . ووقف بها التفكير
أخيراً بعد أن تنازعتها عدة تيارات على أن تعمل ما فى وسعها أن تعمله
لخدمة اليهود من وراء ستار . . .

وبدأت تفكر في الوسيلة . أنها لا تملك غير الحل
والجواهر وما ادخرته من مال . وذلك كله ثروة طائلة
بلا ريب . . والتمعت عينها مبهتة لخاطر مربيذهنها وسرعان ما انتهزت
الفرصة الملائمة بعد أن هيأت لأولادها فرصة للزهوة خارج البيت
طوال اليوم وفي حذر ذهبت خفية إلى صديق يهودى من أصدقائها
القدامى وكانت على صلة به دائماً بعد زواجها وبعد التفاهم معه سلمت له
حليها وما ادخرت من مال لإرساله إلى صهيون مطمئنة إلى قدرته على
ذلك إذ كان لهذا اليهودى شقيق هاجر إلى إسرائيل وله ولد في فرنسا
وكان يكاتبه بطريقة سرية إذ يكتب لابن أخيه في فرنسا ما يريد أن
يقوله لأخيه ثم يتلقى الرد عن طريق ابن أخيه أيضاً — وبذلك استمرت
المكاتبات وتبادل الأخبار بأسلوب لا يفهمه غيرهم . . وما دامت
الرسائل لا تحمل خاتم إسرائيل فلا حرج من تبادل الرسائل بين
المواطنين في الجمهورية والبلاد العربية الأخرى . . ولم تقنع الزوجة بما بذلت
خفية بل أسرع في تنفيذ الخطة التي رسمها لها الصديق دون تردد
فمادت إلى بيتها قبل عودة الأولاد والخادم حيث سمحت لها بمرافقة
الأولاد في نزوة خارج البيت . . والسكى تبرر فقد ما وهبت بطريقة
معقولة . . راحت تستغيث بعد أن تأكدت من خلو البيت إلا منها
صائحة . . الحقونى . . سرقونا . . سرقونا ، وسرعان ما التفت حولها
الجيران وجاء رجال الأمن للتحقيق . . قالت لهم . . كنت مشغولة في
المطبخ لوجود الخادم مع الأولاد في الخارج فسمعت حركة خفيفة
ولما خرجت لم أجد أحداً والسكنى وجدت دولابى الخاص مفتوحاً
على مصراعيه . . كل ما كان لدى سرق . . ثم تصنعت الاغماء وارتعت

على الأرض .. وشغل بعض الجيران بتلقيبها والبعض يدلى لرجال الأمن عما فقدته لعلهم أن لديها مجوهرات ثمينة تقدر بألف الجنيهات وقالت أقربهن إليها وأكثرهن تزاوراً لها أن زوجها كان لا يهتم بتوفير المال بلى يشتري لها الجواهر لكثرة حبه لها وقد باع أكثر الفدادين الذي يملكها لتحقيق رغباتها وهي مولعة باقتناء الجواهر .. ولم ينفذ الجمع إلا بعد أن حضر الزوج الذي جاء بدعوة من رجال الأمن ولم يفرع للسرقة بقدر فرعه على ما أصابها من هلع وأغماء وحزن وترفق بها مهدئاً روعها ووعداً بشراء بديل لما سرق منها مرفأ عنها بأعذب حديث ينم عن حنانها الوفير لسلامة نيتها وطهر نفسه وصعب عليه أن يدرك ما وراء الشفتين المر تعشتين والعينين الدامعتين من مشاعر براقة وظن بسمتها الموهومة على شفقتها تطميناً له لكيلا يتألم من أجلها ولم يدرك البسمة تنفيساً لمشاعرها الخفية ولنجاحها في تنفيذ أولى مشروعات مساعدة صهيون التي استولت على مشاعرها وتفكيرها ولم يعد يشغل بالها غير مساعدة إسرائيل لتنتصر وراحت تنظر إلى زوجها وهي تضحك وهو يفسر ضحكها بنوية هستيرية فازداد حزناً لها وشفقة عليها .. ولم يدرك أن حبها للعرب الذي تظاهرة مكياج تجميل يزيد لها جمالاً وماهى إلا يودية تلتزم إلى صهيون بدماؤها وواطفها وكل نبضة من نبضاتها تخفق بمشاعر صهيون تلك المشاعر التي قلبت بأول صدمة انطلقت من صهيون اللعينة وأن كل قطرة دم فيها تحاول أن تزرد عن إسرائيل وتسعى بكل إمكانياتها للاطاحة بكل عمل يقوم به العرب ضد إسرائيل وتهرخ روحها بغير صوت كأنها تواجه صهيون وجهاً لوجه .. مغممة لا كنت ولا عشت إذا

الارتضاء الخزلان اصهيون . . وفي عصبية شريرة استمات لشاعرها
الفدائية من أجل الحفاظ على إسرائيل مستهينة بكل قطرة دم من دماها
في سبيل ذلك . . متمنية لو استطاعت أن تمزق أوصال كل من يعتدى
على إسرائيل ولكن كيف ؟ هذه هي المشكلة كما تعتقد .

وجأة يدخل عليها أولادها يصيحون . . تسقط صهيون . . تسقط
وهنا يطيش صواب الأم ويصيحها مس من جنون فتجري خلفهم وقد
خانها حرصها الدفين وتضربهم ضربا مبرحا في قسوة لتطفيء جذوة نار
الغيط المشتعلة في صدرها بدعوى أنهم يقدرون السوق في الطرقات
ويتركون دروسهم وهي أهم من هذا السخف والهراء ولم تسكدها
تمتد إلى كبيرهم حتى يتحداها قائلا . أن نار فلسطين امتدت إلى كل
وطن عربي بل في قلب كل عربي مناحة من أجل فلسطين المغتصبة فكيف
نصمت وقلوب اخواننا تن وتوجع وتحترق ويستشهد . أن دماء
الشهداء تجري على الرمال كأن الصحراء تفتحت عن ينابيع من دماء . .
وبح صهيون منا ومن كل عربي . لعنة الله عليهم . ويلوح الأول طييده
كأنه يشمر سيفا مرددا بلمجته المتحمسة . سأقتل صهيون يا أماء . ويردد
الأصغر ، سنحرقهم كما يحرقون العرب . وتعالى أصواتهم . يسقط
الاستعمار وكل من يعادي العرب .

وبصوت حاد يقول الكبير . سأنتزع لانتقم للشهداء .

وبدل أن تشفق عليهم لانفما لهم الشائر وتبارك حماستهم الوطنية
تظفر اليهم شذرا كأنها لم تلدهم وتشعر بانهم أرومتها وبفقدان عواطف

الأم الرحيمة ويعلق بصرها بهم كأنهم غرباء عنها وهم يروحون ويهرولون في غرف البيت صائحين . الويل لصهيون . وكأن البيت تحول إلى ساحة قتال وهم الجنود يصولون ويجولون ولم يمر بخاطرهم ما وراء انفعال أمهم من أحاسيس بغيضة تفيح بكراهية العرب وتود لو تقدم أولادها فداءاً لنصر صهيون أو تذببحهم قرباناً على عتبة دولة إسرائيل المرتقبة .

وكان من الطبيعي ألا يدركوا أن دم صهيون يتحرك في شرايينها بحماسة لا تقل عن حماسة عربيتهم الأصيلة ، بل لعلمها أكثر شراً لقدرة على تزويد مشاعرها برغبة تزودها بابواب الحقد والشراسة والشرور والغدر والخديعة ولم يمر بخاطرهم أن الأم التي تقف أمامهم تعمل وتجاهد خفية من أجل صهيون لأن والدم أخفى عنهم أصلها لكيلا يزلزل ثقتهم فيها . أو يضعف حب البهوة فيهم وسكت الجميع عندما تكلم كبيرهم وقد انتابته حرارة الشباب وثورة الشائرين .

أسمعي يا أمة . لقد انضمت اليوم إلى الفدائيين وقد أسافر بعد أيام قلائل المهم أنا الآن تحت الأمر في أي لحظة . أن في قلب كل مواطن أتوفا يغلي ولهبه يكفي لحرق صهيون لو تجمعت أمامه . ثورة محرقة سوف تقضي ناريها المتأججة على صهيون الملعونة وسوف تحولها إلى رماد تذروه الرياح .

ومع أن كلمات الشاب المنبعثة من وجدانه الشائز تكفي حرارتها لتذنيه ضمير كل جبان وكل خان فإن الأم لم تتأثر بل تعمدت أن تغرسه قائلة : هل حقاً تطوعت ؟ فأجابها . ذلك أقل ما يفعله المواطن

الشريف لحماية الوطن . فزهت رأسها متهكمة قائلة : أنت طفل أبله .
فقاطعتها في حماسة . أنا بوطنيتي رجل عملاق . أعرف كيف أصوب
الرصاص لاقتل أعداء العرب . أنظري . وأخرج مزورا ثيابا به مسدسا
وقبض على زمامه وهو يشهره في وجهها مردفا : انى أعرف كيف أقتل
عدو وطنى . وشعرت أنها لم تعد تحمل في قلبها أى عاطفة تربطها بهؤلاء
الأولاد . . أن صهيون عندها كل شيء . . ومر بخاطرها أن هذا الولد
لن يتردد في قتلها لو عرف أنها تنتمى الى صهيون . . انه هو الآخر
يكرها وتصورت أولادها أعداءها وتمنت لو تستطيع أن تتخلص منهم
لستريح وتسهم بذلك في حرب صهيون بقتل هؤلاء الثلاث وقد تستطيع أن
تقتل غيرهم من العرب بغير سلاح ومدت يدها في عنف وجذبت
المسدس من يد الولد وقد مر بخاطرها خاطر أسود مريع وسيطر عليها
احساس شرير وصوبت المسدس نحو والدتها الكبير وقد فقدت السيطرة
على اصطناع حب العرب وقالت دعنى أتعلم كيف أطلق الرصاص فقد
أساعدكم وصوبت المسدس الى صدر ولدها وهى تقول أهكذا تريد أن
تفعل بصهيون وحركت الزناد وقد تطاير من عينيها شرر الحقد واطلقت
الرصاص وخرجت الطلقة وصرخ الأولاد . . أخى . . أخى . .
وارتمى الولد على الأرض وارتمى الصغار على صدره وهم يصرخون . .
قتلته . . قتلته . . وضحكك هى فى هستيربا وجننون وقد خانها النطق
لكن الولد انتصب بعد أن استفاق من هول الصدمة وضحك مبهتجا لاجادة
تمثيل دوره وقال لها . أن مدربى لم يضع فيه رصاصا انه (فشحك)
التجربة . . أنت قائلة ماهرة يا أماء . لقد اثبت اجادتك للرماية . .
فتطوعى معى لتقتلى عددا وفيرا من الصهاينة ووقع المسدس من يدها

من انهيار اعصاب يدها وارتمت على المقعد متخاذلة بينما ألنف حولها
الأولاد يقولون .. اطمئني .. ان اخي بخير .. وسوف يحفظه الله
ليقتل الصهاينة الملعونين وعقب الولد الكبير غدا سترينني في طليعة
الفدائيين أقاتل لإسرائيل بعون الله .

وغمغمت الأم بصوت مخنوق .. لا بأولدى .. كن بجانبى
لا تذعب دع القنال لمن هم أكبر منك سنأ وأوفر قوة .. ويعلم الله أنها
لا تريد استبقائه خوفاً عليه بل لكيلا تزيد عدد مقاتلي صهيون ..
وصاح الولد .. كيف أبقي ورئيسنا جمال يبذل دمه وعرقه وصحته من
أجل الوطن . لقد علمنا بعمله دون تلميح أن تكون عاملين لتحقيق للعروبة
آمالها ولتحفظ للوطن العربي كرامته ونصرن حقوقه . أن صيحة الحق
فهمت الضمائر وإيمان العربي بضرورة العمل الموحد لحفظ كيان العروبة
جعلت الملوك والرؤساء قواداً للمعركة وبذلك أعادوا للشعوب عهد
الصحابة والخلفاء الراشدين .. وتنفس في طلاقة ثم ردد . النصر
للعرب بإذن الله .. وعاد الولد يقول : أولم تسمعي كلام الرئيس . أنه
لا يتكلم بلسانه يا أمى أن كل همسة من همساته خفقة من خفقات قلبه
يستشعر بها كل عربي ويتجاوب معها . أنه يقودنا بكل نبضة من نبضاته
وما أنا وأنت وأبى وأخوتي وكل عربي إلا صورة منه بما يحمل من
رغبة ملحة للذود عن الوطن وتضحية الذات في سبيله قباسته نجاحه
وعلى الله توكلنا .

وحركات شفقتهم لتتكم محاولة أن تغالب انفعالها الصهيوني
والكن الكلمات ذابت في حلقها فلم تستطع . وبعد معاناة قالت

بصوت خفيض . . . بوى لو أفعل شيئاً ، وسكتت إذ ما تريد أن
تفعله هو القضاء على العرب . فما عساها تفعل وإن حاولت أن تجاهر
بما تريد قضت على نفسها للأبد . . .

في المساء دخل عليها زوجها فرحاً مستبشراً معلناً أن النصر للعرب وإن
شاء الله بعد أن صوبوا سلاحهم البتار في وجه صهيون إذ يكفي قطع البترول
وعلق قناة السويس مع الوحدة الكاملة للعرب . أن ذلك يكفي بلاريب للقضاء
على الاستعمار وصهيون اللعينة . ولأول مرة يخرجونها إحساسها الدفين فتدمع
عينها وتتهجد مغمومة . . . هل حقاً النصر للعرب ؟ ! ثم خافت أن تفضحها
عواطفها فقامت مبتعدة عنه خيفة أن تفضحها مشاعرها متلهية بتنسيق
الغرفة . . . ولكن زوجها دعاها للجلوس بجانبه مردفاً ، بت أنقرب
بين لحظة وأخرى أذاعة انتصاراتنا . وصعب عليها أن تقاوم انفعالها
الكين قاصطنعت دواراً في رأسها وسرعان ما اعتكفت في غرفتها
متناومة لكيلا تسمع كلام زوجها وتعليق أولادها . . .

وظلت معتكفة رغم محاولة الزوج والأولاد لملاطفتها والترفيه
عنها وترديد الأناشيد الوطنية والنكت المصرية عن انتصار العرب
وسقوط صهيون ولكنها لم تستطع مغالبة مشاعرها العدائية مأخوذة
يحب لإسرائيل وتظل كذلك حتى يخرجها من تفكيرها هياج أولادها
وصدى حماسهم الوطنى وقد ارتفع صوت شقيقهم الأكبر ودو يوزع
عليهم شارات التطوع بأنأ فيهم روح الحماسة والتفانى لخدمة الوطن
العربى وقضية التحرير الكبرى والتخلص من الاستعمار وصهيون رأساً
الكل من أخويه خط جمع التبرعات حسب قدرته لمساعدة أمم الشهداء
والمجرد الحربى ثم يتدفق إلى أمه منادياً فى حرارة وحماسة موعزا إليها

بضرورة المشاركة الفعالة لجمع التبرعات من سيدات الحي ومن صديقاتها ومعارفها .. وتحاول الأم أن تصطنع الاستجابة إلى رغبته متكلفة المرض والأعياء اتوهمه أنها لا تستطيع القيام بهذه المهمة الآن لمرضها . وعندما يكرر رجاءه مؤكداً لها أن هذا العمل الجليل سوف يكتسح ألمها ويجدد نشاطها ولا كيلاً يسترسل في حديثه توقفه عند هذا الحد على أمل أنها ستفعل حتماً من تلقاء نفسها بمجرد أن تستعيد صحتها ويتدخل الوالد فيؤكد لأولاده أن الأم لا تقل عنهم وطنية وإخلاصاً للعروبة بل لعلها تفوقهم . ويهتف الأولاد . . تحيا مصر . تحيا العرب . تحيا فلسطين . تسقط صهيون ويسقط الاستعمار .

وتخشى الأم أن تفضحها مشاعرها الحبيسة فتكلف الخادم بغلق الباب عليها لأن الضجيج يزيد من صدادع رأسها ولم تسكد تشعر بخلو الغرفة حتى تترك لمسامعها العنان محاولة أن تصمم أذنيها عن هتافات أولادها بحياة العروبة وسقوط صهيون وتضطرب وتنهالك نفسها عند ما يفتح زوجها الباب ليصور لها مدى ابتهاجه لوطنية أولاده الذي يتوسم فيهم بطولة مبكرة . . راجباً لهم حياة حرة تهيء لهم السكفاح من أجل تحرير كل وطن مستعبد حتى ولو كان من أقصى القارة مؤكداً لها أن الحرية هي منبع السلام الذي يفيض بالخير والحب والبركة ثم يميل عليها ليقبلها : أفرحى وأهنئ بأولادك بأفاطمه وشجيعهم كلما اجتمعت بهم على تقوية وثبة الوطنية فيهم وزودهم أبداً بزاد حب الوطن والوفاء له حرصاً على سلامتهم وحريتهم . . ولم تجدد بدأ من التظاهر بأنها حرصة على أن تهجهم على حب الوطن ثم تنكسر رأسها مصطنعة

شدة الصداق فيقطع حديثه ويقبل عليها حائلاً ثم يقدم لها الاسبرين والشمى لينخفف ألم الصداق مبدئياً رغبته لدعوة الطبيب ما دام الصداق مستمراً هذه المدة فترفض في إصرار راجية منه أن يكلف أبناءها بالالتزام الهدوء ريثما تتعافى ولا يقلق راحتها أى أحد ريثما تسترد صحتها ويستجيب لرغبتها تاركاً إياها للنوم كما تريد ولا يدري الزوج الطبيب أن فى كل كلمة من كلماته وكل هتاف من هتافات أولاده رصاصة مسمومة مصوبة إلى صدره! متناسية أن هذا الزوج الذى هباً لها السعادة الكاملة ما هو إلا عدو من أعداء جنسها وكذلك أولادها اليوم أعداء متطوعين وغداً من الفدائيين وسقطت تحت وطأة تفكير عنيف يتنازعها شعوران متناقضان ، شعور الأمومة وشعور العداة .

وكان لابد أن يستكين الأولاد حرصاً على راحة أمهم بعد توجيئه والدهم فالتزموا الهدوء صاغرين وفى صدورهم ثورة تود لو تطيح بكل هدوء لتتحول الدنيا كلها إلى ثورة تبيد كل باطل يشجس في صهيون ومن يسااندها .

أما الأم فقد تنازمت لنبرد زوجها عنها فلما شعرت بأنه خرج لشأنه استسلمت لمواجسها وخواطرها التى تحولت كلها إلى انتفاضات عداوية تتمثل أمامها فى زوجها وأولادها وهؤلاء يحاربون جنسها على مرأى منها فى صراحة صارمة فهل تراهم يكفون عن هذه العداوة أو علموا أن أمهم يهودية ؟ ! وأن حنانها نحوهم يكاد يتلاشى وساءلت نفسها أتراها تستطيع أن تقتلهم لتقتل أعداء إسرائيل على الأقل !! . .

الايحتمل أن يخرج من بين هؤلاء الصغار بلازعيما كجمال.. أن أبناء الجبل كلهم يتسمون خطاه بل أبناء العرب من كل جنس يعتبرونه والدهم الروحي ورائدhem الوطني .

لقد بات أكثر من مائة مليون عربي يكرهون اسرائيل وان يترددوا في تناولها والعمل على محوها من الوجود وقد يكون أحداً ولادها زعيم الجيل الصاعد كما يسمونه وقد يسكون هو القابض على زمام محو صهيون ، ان حماسهم البادية تلك تنذر بالخطر على صهيون . . وتصورت الخطر يحققها من كل جانب . وطاف خيالها باحداث العالم التي تدور في هذه الساعة وايقنت بما تسمعه أن خطر الجيل الثائر الصاعد سيكون خطراً ذرياً بغير آلات . وقد تكون طاقة نفوسهم الثائرة أقوى من الذرة التي يرتعد العالم هولاً من مجرد تصورها .

وايقنت بعد تفكير أنها تحارب أولادها وأولادها يحاربونها وان كانت هي تدرك تماماً لم تحاربهم خفية أما هم فلا يعلمون أنهم يحاربونها في صهيون الجاثمة على صدر العرب هناك .

وصح عزمها على أن تضع حداً لمشاعرها وأن تحدد بالضبط أحاسيسها بالنسبة لزوجها وأولادها وبالنسبة لصهيون . . واعزمت أن تصطنع مشاركتهم بإظهار عواطفها نحو الوطن العربي وانتوت أن تجرب مشاعرهم نحوها أيضاً دون أن تشعرهم بذلك فلما اجتمعوا ليتناولوا العشاء انتهزت فرصة حديثهم حول المعركة وقطعت الحديث قائلة : قرأت البارحة في إحدى الصحف أن ولداً مسلماً عربياً اكتشف بعد أن

كبر أن أمه كانت يهودية قبل أن تتزوج والده وفي ثورة جنود قتلها
ظنا منه انها تنتمي الى صهيون فما رأيكم في هذا الولد أترأه مخطئا أم على
حق وخاف الوالد أن تخبرهم بما ضيها فنظر اليها بمعنى — حذار —
وانظرت اليه بمعنى لا تخف وهي تصفي لولدها الكبير الذي قال : كان
يجب أن يتأكد منها أولا فإذا وجدها صادقة في ايمانها مخلصه للوطن
والعروبة فلا ذنب عليها أما اذا اشتتم منها رائحة الخيانة أو الميل لصهيون
فلا سرج عليه اذا قتلها بل هو على حق والدين والوطن شفيعان له . .
ثم علم في حماسة وبقين — لا أعتقد انها تؤثر الإسلام على دينها وأغلب
الظن انها تزوجت المسلم لا مرها . . فمثلا كان غنيا وهي فقيرة أو علمها
عمدت الى أن تحمل اسمه بدهاء اليهود لكي تكون جاسوسة لصهيون . . .
ان الجاسوسية تفعل الاعاجيب عظيمة الأصفاد وكثيرا ما كان الدين في
مقدمة بواعثها .

وخان الام وعيها فصرخت في وجهه ، ايقتل أمه ؟ . . قال . .
مادامت خائنة للوطن والدين فهي غير جد برة بأمومتها فقاطعت أخته ،
لا أظن عواطف البنوة تساعده على قتلها . . خير له أن يتنحى عنها
كأنها لم تكن . . قال الولد . . ان في خيانتها جرما لانهاية لفضاعة لانها
لبست مسرح الإسلام كذبا . فقالت أمه والشر يرتطير من عينيهاها أمك
أقتلها ؟ فسكت لحظة مطرقا وهو ينقر باصابعه على المائدة وكان
الكلام الهام عن الطعام ثم ترك المائدة دون أن يكمل طعامه وهو يقول ،
لا أعرف ماذا أفعل وقتذاك ، ان الله فرق الأم وكل شيء . . هذا
ما أعلمه وسأظل أعلمه وأعمل من أجله . . قالت ولكن الله أوصى
البنين بالوالدين . . قال إذا كانا على دين الله وصعب على الوالد أن يقوم

بينهما الجدل على هذه الصـورة وخاف أن يتحول الى مأساة حاول
خلال سنوات زواجه أن يحرص جد الحرص على ألا تقع فقال ليضع
حداً لحديثهما . . مالنا والناس . . أننا لا نعرف تفاصيل هذه المأساة
والصحف أحياناً تنشر القصة دون تعليق أو ذكر الأسباب . . نحن
لا نعرف لم قتل الولد أمه على وجه التحديد . وهل والده حياً أم ميتاً . .
الا يحتمل أن تكون المأساة بعيدة عن الدين وقضية الوطن . . ثم أتسم
للأم مردفاً . . أظنك مسرورة لأن ابنك يتكلم بعقل يفوق سنه بكثير
كأنه ابن الثلاثين، وانتقل بعد ذلك الى حديث عام حول الموقف الراهن
وما به من دقة وخطورة وانفض الجمع وخلت الأم بنفسها متنفسة
الصعداء موقنة أن أولادها لا يربطها بهم غير اسم أبيهم أما حب البنوة
الاصيل الذي يدفعهم للنضحية في سبيلها فلا وجود له وشعرت بمزيد من
الكراهية لهم وأسفت لاضطرارها مرغمة على أن ترعاهم ووجدت نفسها
مندفعة بعد أن فكرت ملياً في ابنها الكبير الى الاتصال تليفونيا بمكتب
التطوع وافهمتهم أن ولدها لم يتم الثامنة عشرة وقد زور في طلب
التطوع بتقديم سنه .

فلما ذهب الولد ليتسلم شهادة التطوع للعمل بمقتضاها مع الفدائيين
شكره رئيس المكتب على حماسه ووطنيته واخلاصه لعروبته وغفر له
جرأته على تزويره ارضيته في الدفاع عن وطنه . . ولم يكذ الولد يفاجأ
بالرفض وتأجيل قبوله ربما يتم السن القانوني على الأقل حتى جن
جنونه إذ كان بالكفاح مفتونا وبالجهاد مولعا منذ صغره بتأثير والده وتوجيهه
وبث روح الوطنية في نفسه منذ الصغر بجانب تعاليم الثورة التي تسلمت
الى نفسه في سحر عجيب ولم يسعه إلا أن يعود الى بيته تأثرا نافعا على

سنه الصغير الذى حال دون اللحاق بركب الفدائيين وتساءل ؟ ! ولكن
من الذى اتصل بالمكتب ليخبرهم بتنزويروى وقاطعه شقيقه : لايد أن
يكون أحد المتصلين بإسرائيل لكي يقلل من عدد الفدائيين .. وعلق الاخ
الكبير .. يحتمل هذا وعلى كل حال لن أسكت .. سوف أتحرى
الاعرف من الذى أبلغ المكتب .. وتخرج الام من صمتها لنقول له ..
ولماذا تشغل نفسك بأمور قافهة ودراستك الآن أحق بوقتك كله ..
فقططعها الولد وهو يبتسم فى غيظ .. أن العالم يسير اليوم وفق سياسة
الجواسيس لا سياسة العدالة .. لن أهدأ حتى انتقم من بلغ المكتب
ليحول بينى وبين خدمة وطنى .. وهنا فقدت قدرتها على ضبط أعصابها
فصاحت فى غير وعى .. أسكت أيها المجنون .. أريد أن تقتل وأنت
ولدى الكبير .. فصاح الولد .. سانتقم لوطنى وعروبى وسأثبت
للمغرورين الادعاء أن فى قلب أصغر عربى من الشجاعة مايكفى لتحطيم
أقوى صهيونى أو استعمارى . فعادت تصبح بصوت يحمل حرارة
أنفاسها المغيظه .. أسكت أيها الابله المغرور .. أنسيت أن النصر أبدا
للقرّة والذهب .. ثق يا ولدى بأن النصر أبدا للدفع والصاروخ .. فصاح
الولد بصوت النائر المتحمس .. يصح هذا لو تخلى الله عنا ولكن الله
معنا بجانب وحدة العرب يا أماه ان بشائر النصر تطالعنا مع الوحدة
التي يعززها قوة الإيمان وصدق العزيمة وصلابة الوحدة العربية والحمد لله
وقد أصبحنا أقوىاء لاننا بنى الحياة الشريفة وهم الضعفاء لانهم يحاولون
امهات الشرف واغتصاب الارض الآمنه .. وبصوت اليقين
استطرد .. لانسى يا أماه أن الله مع الإيمان والحق أبدا ومن كان الله
معه فالنصر حليفه حتما ولو تحولت الدنيا كلها إلا صواريخه يساندها

الذهب والشيطان فهايتها حتما الخذلان . . لقد رأيت البارحة يهودية
يجلس بجوارى فى الاتوبيس ويريق الدماء يطل من عينيه . . تنهيت
لو أقتله . . ولكن رجلا أفهمنى أنه فى حمايتنا لأنه مصرى الجنسية .

وخافت الأم أن يقوى العناد شكيمته . . فنهاكت نفسها

وتكلفت الشفقة والحنان عليه قائلة « يا حبيبي . . تربت وفكر ثم سجنه
فى رفق وهراده وأجلسته بجوارها فى لطف وعطف قائلة : يا حبيبي . .
ما ذنب يهود مصر ؟ انهم أبناء وطننا . . انهم اخوتنا . . قال وقد تأثر
بها ، هذا صحيح إذا لم يعملوا فى الخفاء لمساعدة إسرائيل ، وهــل
تظننى أقتل غير الخائن الذى يخون الوطن سرا ليهاعد صهيون ، أما
المؤمن المخلص للعرب حقاً لا شأن لى به لن أكون مثل صهيون جائراً
وسفاحاً للأبرياء . . ونظرت إليه الأم فى التباع ومرارة وأطرقت لتخفى
ما ارتسم على وجهها من ظلال مشاعرها الكئيمة مغالبة عواطفها متكلفة
بسمة قائلة وهى تربت على خده . . وكيف تعرف الخائن يا ولدى ؟
إنك لا تستطيع أن تعرفه حتى ولو كان من أبناء الوطن العربى إلا إذا
عاشرته وساورته وخبرت تصرفاته . . فسرحت الولد ببصره بعيداً ثم رد
بصره كأن خاطراً نزل عليه فى التوأسفه ليجيب عليه قائلاً : صحيح
يا أمه . . ذلك من الصعوبة بمكان . . لكن لا ننسى أن الخيانة لا بد
أن تتكشف مهما اتقن الخائن حيلك التستر عليها لأن الله لا يدع الشر
يسير حتى النهاية وهنا تراهى إلى مسامع الوالد موجز النقاش الذى
حدث بين الأم وولدها إذ كان يقوم بكتابة تقرير خاص بعمله فى
غرفته الخاصة فهرع إليها ليضع حداً لهذا النقاش وأقبل على ابنه يقبله

قائلاً : أنا سعيد برطنتك يا ولدى . . . ولكن مع أمك الحق . . . فإن
يهود مصر اخوان وطن واحد وجنس واحد . . . والوطن حرمة
والجنس حرمة كحرمة الدين . . . فإما النيل هنا جعل من دماء جميع
الاديان وحدة كاملة مكتملة غير قابلة للتفرقة . فاطمئن من هذه الماحية
وثق بأن الدولة ساهية على استكشاف ما يحول بالنفوس الخائنة
بجانب اتخاذ جميع الإجراءات التي تضمن وقاية الوطن وسلامته في
الداخل والخارج . . . فاطمئن من هذه الماحية وفكر دائماً في محاربة
المستعمر ومن يحور عليك ، أياً كان دينه وجنسه . وحسبك ذلك والله
يرعاك . ونظر إليه الولد نظرة قلق وهز كتفيه ومط شفقيه دون أن
ينبس ببنت شفة ولمح الوالد التماح الشك فيما يقول يبدو في عيني ولده
فأردف وهو يربت على كتفه في حنان لم يبق على الامتحان غير أيام
معدودات ولا أحسبك إلا على استعداد كامل له . . . حتى إذا حان
الوقت لكي تقوم بدورك في الكفاح شاركت بعلمك ووجدانك
وروحك وإيمانك . . . ولزم الولد الصمت وقام من مجلسه . . . ولكن
الوالد استوقفه قائلاً . . . لم تقل لي ماذا أنت فاعل يا ولدى . . . فقال
الولد في هدوء . . . كل خير يا أبي اطمئن . . . وعاد الولد الى غرفته
ليستذكر دروسه ولكن سؤال برز في خاطره . . . أيمكن لليهودي أن
يؤثر المسلم على اليهودي وكلاهما جار له اذا تشاجرا ؟ وصعب عليه
تركيز ذهنه على دروسه وهذا السؤال يراود خاطره . . . ودون وعي
ترك الكتاب وهرع الى أبيه الذي ذهب ليجالس زوجته راجياً منها
ألا تخمد حماسة الوطنية في روح أبنائها بل عليها أن تقويها دون أن تترك
اللباس ينفات من يدها لكيلا يحجموا . . . وفاجأ الولد والده متسائلاً

لو اختصم رجلان أحدهما يهودي والآخر عربي أيهما يكون أولى بدفاعك . . فقال الوالد . . صاحب الحق وغالطت الأم نفسها لترضى ولدها ولتوارى مشاعرهما أمام الوالد قائلة : مع العربي طبعاً لأننا عرب فنظر إليها الوالد اتسكت وقال : كن دائماً مع الحق يا ولدى . هـ كذا ينص دستور الله . . وتستطيع أن تدرك صحة ذلك من آثار العدوان لقد وقف بجانب العرب ضد أمريكا دول تدين بالمسيحية وزعماء يديفون بدين نيكسون ولم يقف الدين حائلاً بينهم وبين نصرته الحق ومناصرته فقاطعه الولد . هـ هذا صحيح ولكننا لم نسمع يهودياً في دولة من دول العالم استنكر عدوان صهيون وأيد العرب . . قال الوالد أنت لا تواظب على قراءة الصحف . . هناك يهود أحرار ومنهم حامات بعض الدول ما دام الإنسان حراً نزيهاً لا يمكن أن ينافق من أجل مصلحة نفسه أو مصلحة وطنه وارتاحت الأم لدفاع زوجها فعلقت قائلة : فعلاً . . هناك يهود كثيرون يؤيدون العرب ويستتخرون عدوان صهيون . . فلا تشغل نفسك بالسياسة حتى تؤدي امتحانك والله يراك ويرعى اخوتك وأمثالكم . . فتنهى الولد عنها وهو يخاطب نفسه . . الشيء الوحيد الذي لا أصدقه هو إخلاص اليهود للعرب إخلاصاً مطلقاً ثم كيف يطلبون مني ألا أشغل نفسي بالسياسة وهل أنا إلا نبصة من نبضات أحداث اليوم ؟ .

شعرت الأم أن سياسة انتقاد تصرفات أولادها أقصتهم عنها ونفرتهم منها فغيرت سياستها واستعملت أسلوباً جديداً في توجيه أولادها توجيهاً يدينهم منها . . ولوالى حين . . وبدأت تشعرهم

بمذايها ورعايتها وعطفها لتتعرف على خفايا تصرفاتهم ونوايا أعمالهم،
والتهجمات تفكريهم فلما استراحت لاطمئنانهم اليها راحت تقص عليهم
بعض أقاصيص اختراعتها وفق ما ترمى اليه لتثبت في نفوسهم مراعات
حق المواطنين من اليهود والشفقة عليهم وحمايتهم من جور السوق وسوء
تصرف أولاد الشوارع من المشردين وقد أثرت عليهم فعلا وخفت
زعة الانتقام من كل يهودى يمر بطريقتهم أو يلقاهم فى أى مكان .. على
أنها كالت رغم نجاحها فى المهام التى تقوم بها سرّاً لصالح إسرائيل كانت
تضيق بحياتها رويداً رويداً وقلما استطاعت أن تنفس عما يحول بخاطرهما
إلا إذا سمح الحديث الذى يجرى بينها وبين زوجها أو أولادها بمقدار ..
وها هى تنتهز فرصة التعمير عن خواطرها فى حذر على أثر مصارحة
ابنها لها بأنه ينتهز فرصة بلوغ سن الرشد بفروغ صبر لبثأر من صهيون وبكل
من يساندكم حتى ولو كان من أبناء دينه .. ودون تفكير وجسدت
نفسها تقول له : . أنك تهذى هذيان المحموم بحمى فورة الشهاب الثائر
وكأنك طفل .. وغدا عندما ينضج عقلك ويكبر قلبك وتدرى أن هناك
قوة أقوى منك مهما بلغت من عمق التفكير ورهافة الحس وتقدير
المسؤولية .. قوة الدم المنبثق من القوة الإلهية اللامدركة . . أنك
تظن الآن أنك لن تتردد فى قتل كل من يساند صهيون ولو كان من أبناء
العرب . قد يمكن أن تقتل كل من لا ينتسب للعرب بصفة إذا ناصروا إسرائيل أما
أن تقتل عربياً فلا أظن يا ولدى لأن دم الدين أو صلة الجنس لا يمكن أن
يتحول إلى دم أو جنس آخر .. الدين أو الجنس الذى يولد به
الإنسان لا يمكن أن يتحول إلى عداوه .. وعندما تكبر وتنضج
سندرك صحة ما أقول .. وتركته مكانه لكيلا تفضحها مشاعرها وخلت

بنفسها في غرفها تاركة دموعها تنهمر في التبايع وألم لا يعلمه إلا الله من
فرط حيرتها وفزعها . فلا هي قادرة على الحرب لتنضم إلى جيش إسرائيل
مضحكة بحياتها وعائلتها ومستقبلها ولا هي قادرة على أن تمضي حياتها ملك
لا يربطها بها غير النفاق والمغالطة ومقاومة طبيعتها وميولها . لقد حاولت
في مستقبل حياتها الزوجية أن تستجيب لتوجيه زوجها لتعتنق الدين
الإسلامي فصعب عليها ذلك إذ لم تستطع أن تحول الدم اليهودي الذي
يسرى في شرايينها إلى دم إسلامي ليس له نواة في تكوينها . . . ولقد
استطاعت أن تلبس مسوح الدين الإسلامي وتكلم بمساكنه وتعديل توجيه
زوجها المسلم ترضيه له لكنها لم تستطع مطلقا أن تقضى على عقيدتها . .
إذ كل ما نشعر به وتدركه تماما أنها يهودية ولا بد أن تضحي في سبيل
إسرائيل رغم إيمانها بأن زوجها وولي نعمتها ورب سعادتها كما أنها لا تنكره
أولادها كرها يدفعها للتخاصم منهم بأي وسيلة ومع ذلك فأم يستطع
زوجها الذي تحبها حبا لا نهائيا له وأولادها الذين يحبونها أيضا أن
يميتوا في أعماقها البذرة التي غرسها والدها اليهودي في أعماقها . ولم يستطع
الزوج بإخلاصه الوفير لها وتفانيه في حبيب أن ينزع من أعماق أعماقها نطفة
اليهودي التي كونتها ليكتسح كل أثر للدين اليهودي .

لقد ظن الزوج بعد أن غمرها بحبه وجأه أتمها أحبه حقًا واخلاصت
لدينه وعقيدته وأنها لا تترد مطلقا في التضحية من أجله ومن أجل الوطن
العربي لما تبديده له من مشاعر الحب والثقة فاني محاولة أن تخفي في
مهاورة سيطرة عقيدة اليهود عليها وإيثارها كل ما يتصل بدينها مغاليه
تأثيره القوى القادر على أن يحول النار إلى نور وليس عليها لها ذنب في

هذا الجحرد وذلك النكران لأنها نبضة من نبضات دين عاق جحود
لا يتأثر بخففات الحق واليقين .

وهكذا بات راسخاً في ذهن الزوج أنها سليمة النية نقية الضمير
لا يشوب اعتناقها الإسلام أية شائبة وشجعه على رسوخ هذا اليقين
اصطناعها التملق به وبدينه عن اقتناع وإظهارها في غير مكابرة أو تردد
إيمانها المطلق بدينه ووطنه ولم يخامر الزوج أى شك في صحة اعتناقها
لاعتقاده أن كثيراً من كبار المستشرقين ورجال الدين من اليهود
القدامى قد اعتنقوا الدين الإسلامى عن يقين ثابت وتفقهوا في دراسته
وكتبوا أبحاثاً عنه تفوق بكثير بعض ما كتبه علماء الدين الإسلامى
ونواته تصور الفارق بين عقاية زوجته وضآلة ثقافتها وسطحية تفكيرها
وبين هؤلاء الذين نبغوا في الدراسات الإسلامية بعد بحث ودراسة
وتمحيص ومقارنة بين الأديان الثلاث ، لقد انقطعوا لدراساتهم كما
ينقطع المعبد في صومعته للتقرب إلى الله راغباً أن يتعرف على الطريق
الذى يوصله إلى تعرف ما يحمل .

لذلك كل من الصعب عليها أن تفهم حقيقة هذا الدين الذى اعتنقته
لأنضى زوجها كى تحظى بتحقيق كل ما تشتهيه من مطالب الحياة المادية
على ضوء هذه الرضوية ولو حكم عقله بعيداً عن العاطفة لأدرك أنه من
المنتهيل لمثلها أن تعادى ديناً ولدت على ضوء شموعه ورضعت من
مدي أمها خلاصته واستنقت من ينبوعه عصارة نصوصه . . . وألقها
والدها مبادئه ومراميه وتنقى ومن العسير أن تنقى سريرة أمراء انتشلها
القدر من بؤرة الضياع إلى امرأة تدرك بعقل واعى ضلال مضللى اليهود

و حول قطوف شجرة موسى عليه السلام النابتة في أرض السلام الى أشواك
سامة مملوكة ؟ كيف تصفى نفسها من أدران إلفك والبهتان بعد أن لقحت
اسرائيل بمصل أباطيلها المنتشرة في أنحاء العالم النفوس الصغيرة الوليدة
من أبناءهم ؟ كيف تتطهر مما علق بذمها من تعاليم شيطان اسرائيل الجائر
على صدور الأبرياء من اليهود في كل مكان ؟

كيف تستطيع أن تفهم كل غامض وتدرك كنه ذلك الدين الذي اعتنقته 194
ربما كان في وسع زوجها أن يعينها على ذلك مع كثير من الاهتمام الفائق
دون أن يعتمد على مظهر اعتناقها لدينه بل يتوخى الحقيقة ليخير مبالغ
إيمانها وحقيقة حبها لدينها أو دينه تاركاً لها حرية الخيار إذ خير لها
أن تعيش على دين تؤمن به حقاً يدل أن تتظاهر بدين لا تؤمن به إيماناً
مطلقاً لكي تكون واضحة فيما تقول وتفعل . . . وها هي المعركة القائمة
بين إسرائيل والعرب أسفرت عن خفايا مشاعرهما الكئيبة في أعماقها وعن
كراهيتهما الأصلية للعرب وتمت في تلك اللحظات الحاسمة أن التحرر من زوجها
مضحجة يجاها وتعود عاملة في المتجر لتخدم إسرائيل . . . ولكن كيف
وهل تراها تستطيع؟ إن قوة خفية منبثقة من سلطان الطبيعة التي ربطها
بحاضر مترف تعودت عليه وأولادها يحاربونها يساهم خفية عن غير عمد .

كانت حبيسة هذه الخواطر حينما ناداها الزوج فهرعت اليه مسرعة حيث كان يجلس الى مكتبه يطالع صحف المساء بعد أن أمرها الا تسمح لأولاده أو لاي كائن أن يدخل عليه ، فلما وقفت بين يديه أبتسم وقال :
الآن أستطيع أن استريح قليلا واتحدث اليك إذا شئت مع تناول فنجان من الشاي معك لأجدد نشاطي .. فقالت .. يبدو أن ما كنت تطالعه

أو تكتبه خطير حتى أنك تخاف على سريته من أولادك ومنى كما يبدو ولم يدرك الزوج ما وراء لهجتها من خبث قابض في الحظف قاتلا.. الأولاد طائشون لا يقدرّون خطورة الأمور ويجري الحوادث وما تتطلبه السياسة العليا من سرية كاملة لنسترد أرضنا — أما أنت — وربت على خدما في رفق وسب — تقدرين خطورة مثل هذه المواقف وتكتمين السر إذا بدا لك ولو أن ذلك لا يخلصك طبعاً .. مالك وشئون السياسة المتعبة .. ولو تمعن في وجهها لرأى سريرة نفسها في بريق عينيها الذي بدأ ماتمعا واختفى بسرعة خفية أن يكشف خبيثة نواياها وتناول الشاى سويا وحاولت أن تغريه بدعاباتها واحاديثها ليصارحها بما يخفيه ولكنه حرص على ألا يبوح لها بما يشير إلى أسرار عمله متقلبا من حديث إلى حديث.

حتى نام وكان نومه في هذه الليلة عميقاً من فرط جهده الذي كابده طوال النهار. أما هي فأم تم بل ظلت تفكر في هذا السر الذي أخفاه عنها رغم حبه الشديد لها .. لا بد أنه سر خطير غاية الخطورة .. وفكرت في هذا الشأن طويلاً وطال بها التفكير حتى أيقنت من نومه فاطمأنت إلى الفرصة السانحة وسرعان ما أخذت المفاتيح ثم قادت بسرعة إلى مكتبه وفي حذر راحت تبحث في ملف أوراقه بسرعة ودقة وهي تمر بنظرها على كل ورقة موجودة .. ولقت نظرها صورة خريطة لإسرائيل وقد كتب عليها ما يشير إلى رسم الخطة المزمع تنفيذها ، وهاها الأمر وملسها الفرع والخوف والقلق .

وسرعان ما مر بذهنها عدة خواطر شيطانية وهي تفكر في وسيلة للتخلص من تنفيذ هذه الخطة ، أتمرقها لكي تمرقها أو تحرقها ..

وراحت تفكر فيما يجب أن تفعله لإنقاذ إسرائيل حتى أوشك الفجر
أن يقترب كأن عقرب الساعة يتعجل عن عمد . كيف تنقذ صهيون من
هذا الهجوم ولم تجد أمامها من يعينها غير صديقتها اليهودى وسرعان ما
حركت قرص التليفون ثم راحت تترقب قدومه من النافذة وفى سرعة
حضر اليهودى فى قفاز كفى ثم ترجل مارا أمام المنزل فى اللحظة التى رمت
فيها قصاصات من الورق كأنها قامة مهملة وكان الوقت مبكراً ولم يشغل
الشارع بالمارة بعد ، غير من اضطرتهم الظروف للخروج مبكرين لأمر ما
وفى سرعة وحذر التقط الخريطة المعلقة وفى لمح البصر اختفى ، وبعد أن
أطمأنت إلى اختفائه هرعت إلى المكتب واشعلت النار فى السجاد
والورق الموجود على المكتب بعد أن رمت عقب سيجار وبعد أن
تأكدت من وصول اللهب إلى المكتب تسلمت خفية فى حرص
واستلقت بجانب زوجها النائم .. ثم اصطنعت اليقظة على رائحة الدخان
الذى ملاً جنبات الطابق كله وراحت تهز زوجها فى ذعر صارخ حتى
تنبه وقام من نومه مذعوراً يجرى صوب المكتب وهو يصرخ ..
أوراقى .. أوراقى .. أوراقى .. وعلا صراخ الأولاد واستغاثة الزوجة
والخدم بينما الزوج يتنقل من مكان إلى مكان فى هلع جنونية وهو
يحاول أن يجتاز الدخان لينقذ أوراقه ولكن لهب المكتب الكشيف
لأنذره باحترق كل شيء فيه .. وارتدى الزوج على مقعد بعيد لم يمتد
إليه اللهب بعد ، فى يأس وكاد يفقد وعيه والزوجة تصطنع الالم مشاركة
إياه الذعر حانية عليه مترفقة متكلفة الحزن والأسى من أجله .

وحضر رجال المطافئ والإسعاف واطفئت النيران وأسفر التحقيق

عن إلقاء عقب السيجار على السجاد دون أن يطفأ ولولا انتباه الزوجة
لاحترق المنزل كله ومن فيه .. هكذا ظن الزوج الذي حمد الله على يقظة
زوجته ونجاة أولاده . وكاد كل من بالمنزل يبدأ هدوء الدخان المتصاعد
حتى أن موعد خروج الزوج لعمله فاضطر للخروج وعلى أثر خروج
الأولاد الأبرياء خرجت هي بدورها لتذهب إلى صديقتها اليهودي
لكي تعاونا لإنقاذ صهيون من هجوم العرب ولم تكذ تلقاه حتى وجدته
يتجسس للسفر إلى إسرائيل عن طريق الصحراء كي يقابل زميلا له يعمل
في جرك القنطرة منتحلا شخصية مزيفة باسم الشيخ مصطفى ومهنته
— حمال — ولا يعلم أحد حقيقة أنه غير قلة من اليهود المهتمين بحركة
الاجاسوسية وعرضت عليه أن ترافقه فأبى لتقوم هي بمهمة أخرى وهي
أن تشير إلى الطائرات الإسرائيلية بإشارات سرية إلى مكان ما .. ولكنه
نصحها بأخذ الحيلة والحذر وأن تركز فكرها على معاونة إسرائيل
مادياً وسافر معشداً عليها راجياً أن يعود ويجد معها مبلغاً لا يستهان
به من جمع التبرعات التي كانت تجمعها باسم مساعدة العرب وإذا
اضطرته ظروف قاهرة على عدم العودة فعليها أن تسافر وتتصل بالشيخ
مصطفى في القنطرة . ولما عادت إلى بيتها شعرت بعبء المهمة التي أخذت
على عاتقها أن تحملها وزاد العبء اعتماد رفيقها عليها في الاتصال
بالطائرات عن طريق اللاسلكي الذي سلمه إليها وهو عبارة عن ساعة
تلبسها في معصمها . ومرت بعض أيام جمعت خلالها مبلغاً كبيراً من
المال والمصاغ بدعوى مساعدة اللاجئين وعائلات مشوهة الحرب وخلال
تلك المدة اتصلت بصديقتها اليهودي فلم تجده وازداد قلقها لسوء الأخبار
ووقوف العالم كله لمناصرة العرب وأخيراً اعتزمت السفر إلى القنطرة

لتسلم المبلغ إلى اليهودى المدعو الشيخ مصطفى والىكى تظمن على صديقها اليهودى من ناعية وتلبس حقيقة الموقف عن كذب إذ الإذاعات التى تسمعها من القاهرة وإسرائيل متناقضة تبعث القلق آنا ولأطمانينة أحيانا وصح عزمها على السفر مهما كلفها الأمر وفكرت فى عذر وجيه نتيح لها هذا السفر.. وسرعان ما تذكرت أسرة صديقة انتقلت من زمن إلى العريش وكان الود بينهما قويا متينا ولم تمض أيام حتى استطاعت بحيلتها ودهائها أن تقنع زوجها بضرورة سفرها أعيادة صديقها المريضة وفى الوقت نفسه تستجيم يوما على الأفل . أنها تشعر بهبوط منذ حادث الحريق والىكى تمن فى حيلاتها طلبت منه مرافقتها وهى على يقين من أنه لن يستجيب لطلبها لسكرة شواغله .

وتتم لها ما أرادت وسافرت فى اليوم التالى إلى المنطرة واستطاعت فى غير عناء أن تتعرف على اليهودى الشيخ مصطفى وفق أوصاف صديقها الذى أدلى بها إليها وفى حذر وحيطة تفاهمت معه ولم تمض لحظات حتى اختفيا عن الأنظار بعيداً عن الموجودين فى الجمرى وعرفت فيما عرفت أن صديقها ذهب فى مهمة سرية إلى إسرائيل بعد أن ارتدى زى أحد شهداء الجنود الفلسطينيين وعرف كيف يجتاز طريقه لإجادة اللغة العربية كأحد أبنائها حيث كان يقيم فى القاهرة قبل العدوان مع إجادته اللغة العبرية التى تساعد على اجتياز خطوط العدو . .

وعادت بعد أن سلمته كل ما جمعه من أهوال وحلى وما أخذته من زوجها بديلا لما افتقدته فى الحريق كما أدعت ذلك بجانب ما أدخرته

من مصاريق اليهود ولم يستطع أحد العاملين في الجرك أو المارة
أو المسافرين اكتشاف شخصية اليهودي الشيخ مصطفى لاجادته طهجة
شيوخ المسلمين الأتقياء من عرب البدو وإطالة لحيته مع التسبيح مردداً
الأوراد مصلياً على النبي (صلى الله عليه وسلم) كأنه بعيداً عن مظاهر الدنيا وهما
الموظفين والعاملين والمترددين على الجرك بأن النقود التي يتقاضاها أجر
عمله يتبرع بها لأقرباء العرب المحتاجين وبالأسلوب المعروف بين
أعضاء جمعية الجاسوسية اتصل بأحد زملائه الذي يتردد عليه من حين
إلى حين وفي جنح الظلام بعيداً عن الناس تسلم منه النقود وعن طريق
جهاز الإرسال الذي يربطه بأعضاء الشبكة اتصل ببلغونيا بزميل له يعمل
بدوره على خطوط الهدنة كبائع متجول اتفق معه على أن ينتظره في مكان
ما .. وركب الجاسوس سيارته حيث كان ينتحل شخصية تاجر من
تجار غزة تحت اسم عربي مستعار أيضاً وفي طريقه صدمته سيارة جيش
مصري عن غير عمد .. وحمل الجاسوس فاقد الوعي إلى المستشفى في
المسكري التابع للجيش المصري حيث كان على مقربة منها وعندما رفع
رجل الإسعاف ملابسه للكشف عن آثار الصدمة وجد حزاماً ملفوفاً
حول وسطه به جيوب حيث كانت تخفي النقود في دقة وبراعة وقد وضع
بهذه الجيوب مبالغ كبيرة من المال مع ساعة ذهبية ثمينة نقش خلفها
حرفي اسم يدل على أنه من رجال مصر القدامى البارزين ومعها ورقة
كتب عليها هذه النقود وتلك الساعة من الزميلة s. A كما وجد في لفافة
أخرى بتاريخ آخر مبلغاً من المال مع بعض الحلوى وقد أشير في الورقة
المرفقة بها إلى اسم الزميلة السابقة .

وسلم رجال الإسعاف النقود والساعة والسوار إلى الجهات المختصة

مع الورقة التي وجدت معه . وبعد أن استفاق الرجل وواجهته الجهات المختصة بما وجد معه عند التحقيق ادعى أنه عثر على الحزام ملقى على الأرض عندما توقفت العربات في طريق الصحراء لعطل أصابها فجأه وقد كان في نيته أن يسلمه إلى المسئولين بمجرد وصوله إلى غزة .

ورغم دقة التحقيق فلم تتمكن المباحث من وضع يدها على سر هذه الأشياء لتسكنم الجاسوس الشديد وحرصه على إخفاء الحقيقة بمهارة . وأخيراً اهتمت المباحث بعد البحث وتحري رجال المخابرات إلى معرفة صانع السوار في القاهرة الذي أرسلهم إلى — إلهامى بك — الذى اعترف فى صراحة عندما سئل أن السوار سبق أن صاغه خصيصاً أزواجه وقدمه اليها بمناسبة عيد ميلادها وهو يرجح أنه سرق منها مع ما سرق فى حادث السرقة التى حدثت منذ شهر أو لعله سرق عندما شبت الحريق فى بيته وداهم الفيلا للسوقة والخدم أثناء الاستغاثة وقت الحريق . . أما المال فلا يعلم عنه شيئاً وان كان يرجح أيضاً أنه سرق مع ما سرق لأنه يعلم أن زوجته تجمع التبرعات لأسر الشهداء وعندما سئلت الزوجة وأيقنت أنه لا مخرج من الاعتراف بأن السوار خاص بها وقد اكتشفت سرقة مع حليها ونقود التبرع فى حادث السرقة ثم فى حادث الحريق ولكنها لم تشأ أن تخبر زوجها لكيلا تزعجه أو تضيف إلى آلامه ألماً جديداً .

فى هذا الوقت اهتمت رجال المخابرات إلى أن خريطة الهجوم على إسرائيل والتي فشلت لأسباب احتفظ بسريتها وقتذاك سلمت إلى

لإسرائيل وبعد التمحي عرف أن هذه الخريطة يوجد منها صور محدودة عند عدد محدود من المسئولين . . وكان لا بد أن يطالب كل منهم بتقديم الصورة الموجودة عنده عند إجراء التحقيق معه للتأكد من وجودها عنده . . وكان من الطبيعي أن يحاول كل منهم برأته بتقديم الصورة الموجودة لديه وعندما جاء دور — إلهامى — اعترف بأن الصورة التى لديه احترقت مع ما حرق وقد أثبت ذلك فى المحضر الذى حرر فى القسم عن الحريق الذى حدث يومئذ .

ولم تأخذ المباحث بصحة هذا الزعم وخصوصاً بعد أن ثبت بوجود الساعة الخاصة به الذى كان ورثها عن أبيه — الباشا — ولم يجد دفاعه عندما قال أنه كان يحتفظ بها فى درج مكتبه الخاص مع بعض ما ورثه من جواهر ثمينة وخصوصاً بعد أن أعلنت إسرائيل أنها عليمة بسياسة مصر العليا مع جميع الخطط الدفاعية .

وكان لا بد أن يدان — إلهامى — رغم ما يؤكد صدقة وصراحته فى كل اعترافاته لوجود الخريطة والخلى والساعة والنقود مع رجل لم يشأ أن يدلى بأى تصريح يشير إلى إلهامى وزوجته ولا بد أن هناك حلقة مفقودة تربط بين إلهامى وزوجته والشيخ مصطفى وإسرائيل .

وكان لا بد أن يحاكم إلهامى بدعوى خياناته الوطنية وذلك بكشف أسرار عمله السياسى لزوجته الذى نهتدت المخبرات إلى معرفة حقيقتها ودينها الأصلى اليهودى رغم اعتنائها بالإسلام وكان المفروض أن يكون بعيد النظر أميناً على أسرار وطنه . وعبثاً حاول الدفاع تبرئته وكان لا بد أن يودع

السجن ريثما يحكم القضاء ولم يستطع التحقيق أن يثبت جريمة الزوجة لحرص زوجها على عدم تشويه سمعتها أو كرامتها .

وكان من تأثير الصدمة على الإمامي أنه مرض وحول المستشفى تحت العلاج وتظاهرت الزوجة بالحزن الشديد لما أصاب زوجها وصارحته بأنها ستعمل المستحيل وسوف تبيع كل مالهها وتستدين إن تطلب الأمر لكي تستعين بأكبر المحامين . كما لزم أرلاده اللهم والأسى خصوصاً والده الكبير الذي يكره لإسرائيل وقد ازداد كراهية لهم لما أصاب والده مؤثماً أن هناك يد خفية تنتمي لإسرائيل لعبت هذا الدور الخطير ولم يشك قط في نزاهة والده الذي يحب وطنه بقدر كراهيته لأعداء الوطن وبات فكره مشغولاً ليكشف عن هذا الشيطان الذي دبر لو والده هذه المكيدة ليزلزل ثقة المستولين فيه . وإنجته ذهنه إلى مراقبة المترددين على البيت أثناء تغيب والده إذ من المحتمل أن يكون ذلك الخائن منهم ولم تمر بعض أيام من مراقبته كلها مكث في البيت .

وقد عمد الأيغادور لإلماماً حيث أصابه من ذهول النفس وشروء التفكير ما لم يستطع معها تركيز ذهنه على الدراسة وكلها فبهتته أمه إلى خطورة تغيبه عن المدرسة أقنعها أنه يستطيع أن يعوض ذلك بعد براءة والده وهو موقن ببراءته فإن رجال الأمن أعرق فكراً عما يتصور الخائن الذي نكل بوالده وسبب له هذه الكارثة ولم يشأ أن يصارحها بما أعزم عليه وحرص على أن يلاحظ المترددين على البيت وأثناء ذلك لاحظ أن شيخاً يتردد على البيت بعد تغيب أبيه وينال من أمه عطفاً ورعاية لم يحظه بهما سواء ولما سأل أمه من يكون هذا الشيخ أجابته بأنه رجل طيب وهو ولي من أولياء الله وهي تستعين به لتعرف حقيقة هذه النكبة التي لحقت بزوجها ولم يشك الولد فيما زعمت وراح يستدرجها لثبت له

صحة دعواها ولم تكن في حاجة إلى التفكير في تليفق أمثلة تؤكد له حسن نيتها وقدرة هذا الشيخ على قبرة أبيه .

ومررت الأيام والولد جد مشغول البال بأمر والده حتى حدث أن جاء الشيخ أثناء عودة الولد من الخارج الذي دخل البيت دون أن يشعر به أمه إذ كانت منعزلة في غرفتها تتحدث في التليفون بحذر واعتكف الولد في غرفته كما دته . هموماً منظورياً مفكراً في مآل أبيه ومصيرهم المتعاق بمصيره الذي يبدو ميثوس من برائته ولم يشأ أن يفتح نوافذ غرفته لكيلا تعلقه الخادم بتررتها بشأن السؤال عن أبيه لنطمئن عليه . . وشعر بوقع أقدام تدخل المسكن بعد أن فتح الباب دون دق الجرس . . كأن الزائر على موعد مع من في البيت وفي حرص نظر من بين شطري الباب ورأى الشيخ يسير في حذر كأنه يتسلل خفية لكيلا يراه أحد غير الام التي استقبلته وفتحت له باب مخدعها وأغلقت عليه ثم أرسلت الخادم إلى الخارج لتقضى لها بعض الحاجات . . وتما لك الولد نفسه وساورته خواطر كانت تدفع الدم في رأسه لولا أنه غالب أوهامه ريثما يتأكد واعتلى كرسيه لينظر من وراء الشراعة العليا للباب الذي تفصل بين غرفته وغرفة أمه . . ورأى الام تجلس بجانب الرجل وتسرا إليه كلاماً لم تسمعه بالضبط . . فاضطر أن يتسلل ليستمع من وراء باب غرفتها حديثها فلم يتمكن من لفوت صوتها وصوته . وقبل أن يغادر موقفه شعر بفتح الباب فظاهر وكأنه قائم في النوم الخارج وشعرت الام به فرفعت صوتها لتسمعه كلامها راجية من الشيخ أن يصلي من أجل زوجها ويدعو الله أن يثبت يراه ته ويشفيه عاجلاً مؤكدة له أنها عند وعدهما وإن تتردد في تقديم ما بذرت له لاولياء الله الصالحين بعد معافاته وبراءته ولزم الولد

الصمت لأنه يعلم رد سؤاله لو سألها أيمن حقا أن يرد هذا الشيخ الضر
عن والده ؟ .. وراحت الأيام تمر حاملة في طياتها هموماً وآلاماً أكثر
من احتمال الأولاد خصوصاً الولد الكبير الذي سيطر على فؤاده الحزن
والألم لما ألم بوالده وأخذ يغالب أساه ليظمن أخوته كلها التفوا حوله
يسألونه عما تم في قضية الوالد إذ كانت الأم مشغولة عنهم بدعوى أنها
لم تعد تطيق الحياة بدون زوجها وهي أبداً خارج البيت لتسعى في سبيل
تحقيق براءته ولا تمكث في البيت إلا إذا كانت على موعد مع الشيخ
على أن أطمئنان الولد لأمه بدأ يراوده الشك إذ لاحظ كثرة تردد
الشيخ وخلوته بأمه مما دفع الشك في نفس الخادم الذي بدأت ترتاب في
سيدتها كلما هيأت لها سبل الخروج لأمر ما كلما حضر الشيخ وبدأت
تلوح لسيدها الصغير بكلمات تثير الشك في الأم في الوقت الذي بدأ هو
فيه أيضاً من تلقاء نفسه يرتاب في أمه وخامرته وساوس السوء وطافت
بذهنه خواطر جنونية حاول أن يقاومها في بادئ الأمر لإعتقاده أن
أمه طاهرة عفة ولا يمكن أن تنزلق من أجل شيخ سوقي متجول لا يجذب
منظره نظر امرأة مهما كانت من السذاجة والبساطة بمكان وتجسم في ذهنه
خاطر واحد هو أن هذا الشيخ نص محتمل بلبس مسوح الأورلياء ليقبذ
مال أمه عن طريق الشعوذة .

وفجأة نشرت الصحف خبر اكتشاف شبكة جاسوسية من اليهود
وقد ألقت القبض على بعض هؤلاء الجواسيس ونشرت صورهم ورأى
الولد صورة مصطفى الذي كان يتردد على أمه بدعوى أنه ولي صالح
وبلهجة الثائر الساخط واجه أمه بذلك الخبر — واسكنها أنكرته وقالت
أنه مجرد تشابه في الاسم والصورة ورغم تأكيد ابن لصحة الخبر مسغماً

دعواها إذ لا يمكن التشابه التام بين الإسم والصورة ولكن الام أصرت على النكران مؤكدة أن احتمال التشابه جائز جداً وضربت عدة أمثلة كثيرة خصرصاً بين التوائهم وإمعاناً فيما أدعت أظهرت عدم اهتمامها بهذا الامر محاولة أن تصرف نظر ابنها عن ذلك إذ حسبه الاهتمام بأمر أبيه .

وعاد الابن يؤكد صحة ما نشر في الصحف لانقطاع زيارة الشيخ لهم على أثر نشر خبر اعتقاله مصارحاً أياها بأنه يخشى أن يكون يهودياً وقد احتال بطريقة الدماء وبوسيلة الجواسيس ليبتذل مالها لصالح إسرائيل ولينتزع منها ما يظن أنها عرفتـه بحكم صلتها بأبيه من أسرار سياسية .

واضطجعت الام الغضب وأخذت عليه تهوره وظنونه الطائشة مؤكدة له أنها حريصة على أسرار أبيه ومع ذلك فإن والده كان ضنين بأسرار وطنه ولا تذكر أنه أفضى إليها يوماً بأى سر من أسرار الدولة أما هذا الشيخ الذى يسمى الظن به فقد عرفتـه عن طريق صديقة لها سبق اتهم زوجها فى قضية ما وكان هذا الشيخ سبباً فى تبرئته وذلك بتلاوة القرآن الكريم مستعيناً بتسليط الجن الصالحين المزودين بمعرفة الخفايا والأسرار وتسوق إليه عدة أقاصيص لتثبت له صحة هذا الزعم والولد مأخوذ بما تسرده ما بين مكذب ومصدق على أنه تذكر حديثاً جرى . بينه وبين والده يوماً خاصاً بذلك وقد أثبت له والده أن الجن لم يعد لهم اتصال بالبشر فى هذا الزمن بعد أن ضاقت الأرض بأباطيل الناس ومر بخاطره الأمثلة التى عزز بها والده رأيه ولذلك لم يجد الولد بد من تكذيب إدعائها مستشهداً تارة بأراء والده وتارة أخرى برأيه

معقبا أخيراً قائلاً .. لا أظن هذا فلو صح ما نقول إن كان في الحياة شيوخ على طراز الشيخ مصطفى لهم القدرة على علاج المرضى وتبرئة المتهمة بقراءة التعاويذ ولما اكتظت السجون بالمجرمين والأبرياء أحياناً .. لقد كنت قبلاً أعتقد أن السجن لا يدخله غير المجرمين أما الآن فقد بت اعتقد أنه من الجائز أيضاً أن يدخله الأبرياء كما حدث لأبي .. ويطول الجدل في هذا الحديث وكلاهما عاجز عن إقناع الآخر .

وتمر الأيام والولد مشغول البال وهو لا يدري ماذا يفعل ليبريه والده الذي يؤمن بنزاهته كإيمانه بربه محاولاً أن يبت في صدر إخوته هذا الإيمان والام لا هية عنهم .. تخرج كل يوم في صياعد لا يتغير فإذا سألتها الولد أين هي ذاهبة أو من أين هي عائدة ؟ احتجت بأنها تذهب لعلاج أسنانها متظاهرة بالالم البالغ من أسنانها وكثيراً ما تقول أنها عائدة من عند زوجها بعد أن استصدرت أمراً للسماح لها بزيارته .

وظلت هكذا حتى ذلك اليوم الذي طال فيه تغيبها حتى انتصف الليل فربع أولادها وانزعج كبيرهم وراح يتصل تليفونيا بجميع عيادات أطباء الأسنان فلم يهتمد ثم ظن أنها ربما ذهبت لوالده وتمكنت من مضى الليل بجواره ولشد ما روعه أنها لم تذهب إليه منذ أكثر من أسبوع ولأول مرة يواجه كذبها . وبدأ الشك يساوره على صورة أخرى وبات الذهاب إلى طبيب الأسنان مشكوك فيه أيضاً واضطر أن يتصل بجميع معارفهم وأقاربهم تليفونيا فلم يهتمد بها فلما انبثقوا الفجر خرج مسرعاً ليسأل من لم يتصل بهم تليفونيا فلم يجد لها أثراً . وظل اليقين من براءتها يراوده إذ ظن فيما ظن أنها ذهبت لتحضر عرس ابنة إحدى صديقاتها أو تجامل في

فراء بعض معارفها لأنها تعرض دائما على الجمالة في جميع المناسبات .
ورغم أنه لم يلم طوال الليل من شدة الارق والتفكير المصنئ فقد ظل
مناجيا بفراء مفارما الوسارس خشية أن تكون أصيبت بسوء في
الطريق لا تعداد الرعام وسيطر عليه هذا الخاطر إلى حد لسي معه
ادعائها الذهاب إلى أبيه وان دفع يتصل بالمستشفيات والإسعاف ثم
ارتدت طمأيناته من هذه الناحية وظل كذلك تدور به أمواج الأفكار
القاسية ولم يخرج منها غير صوت بائع الصحف وهو ينادى بصوت
صارخ القبض على جواسيس صهيون وعصابة من إسرائيل ينتحلون أسماء
العرب . . العثور على قنابل ومفرقات وأجهزة لا سلكي في منازلهم . .
وان دفع كالجنون ليشتري للصحيفة وقد ملكته مشاعر مبهمة متناقضة
ومر بنظره على الصور المنشورة وزاغ بهصره وفغرفاه وأوشك أن
يقع على الأرض فاقد الوعي لولا أنه تدارك نفسه ليتحقق من حقيقة
الوجه الذي رآه . . ونظر في تمعن ولسكنه رد بصره موقنا أن في عينه
خللا وراح يطالع ما كتب تحت هذه الصورة ليتأكد من سلامة عينه
فاذا به يقرأ [جاسوسة صهيون] تمتد الجواسيس بالمسال وتجمع
البرعات من العرب باسم العرب . . وعاد يحاق بعينيه الزائغتين في الصورة
ثم تحامل على نفسه ناظراً على طول الشارع البعيد المتصل بالبيت على
أمل أن يراها قادمة وكأن غمامة من الخوف حولت الشارع إلى غبش
من الضباب لا تلبين فيه الرؤيا وتنتفض أنفاسه كأن شيئاً يوشك أن
يخنقها . . ويجرى كالجنون إلى بيته باحثاً عنها علها عاد ، متنقلاً من غرفة
إلى غرفة كأنه يستنجد بصورة والده المعلقة في ذهول يوشك أن يدفعه
إلى الجنون ولا يدري أي الظنون هي الصحيحة ؟؟ . . ويظل كذلك

حتى يذهب طرقاتاً شديداً على الباب فتهدأ أنفاسه ظناً منها أنها عادت فيسرع وقد لحق به إخوته مهملين وكانوا قد تأخروا في النوم بمناسبة العطلة الأسبوعية . . وصاحوا . . أبى . . أبى . . إذ ظنوا أن القادم والدم وكان شقيقهم حارل أن يخفى عنهم مبيت أمهم الليل خارج البيت .

لكنهم ارتدوا جميعاً مذعورين إذ واجهوا رجال المباحث يدخلون بعد أن استأذنوا بكلماتهم التقليدية المألوفة في مثل هذا الموقف .
ويسأل الضابط : أين إلهامى (بك) فيجيب الولد الكبير . .

أنه مريض في المستشفى ويظن أنهم قادمون لاستئناف التحقيق معه وبصوت ينم عن اليقين الثابت تتخلله نبرة الحزن السكين . أبى برىء ، أنه مخلص أمين لوطنه لا يمكن أن يخونه لأنه يفديه بروحه لو تطلب الوطن ذلك . . ويكرر الصغار وهم يبكون في حرارة وحرقة . . أبى برىء إنه رجل عظيم ويستأذن الضابط بأسلوبه التقليدى أيضاً ليفتش المنزل ويؤدى مهمته بمؤونة رجال الشرطة وأثناء تفتيشهم محتويات المنزل . وجدوا في دولاب الزوجة الخاص خطاب من صديق لها يخبرها بأن الشيخ مصطفى مضطر للإقامة في القاهرة هذه الأيام للقيام بهمة لا يستطيع القيام بها سواه وهو ينتظرها في المكان المعروف للساعة التاسعة من مساء الغد ومعها ما جمعه من مال .

وهنا يبدو على وجه الضابط مشاعر الارتباك كأنه وضع يده على المفتاح المفقود ويضع الضابط يده على كتف الولد الكبير ليشرح له بالطمأنينة لكي يأنس إليه ثم يسأله ما اسم الوالد فيجب — فاطمه — وديانها ؟ . . مسلمة . وما جنسيتها ؟ طبعاً مصرية . فيهر الضابط

رأسه دهشاً ويمط شففيه كأنه يرتاب فيما سمع ويسأل عن اسم والدها
 فيصمت الأولاد إذ لم يخطر ببالهم أن يعرفوا معلومات خاصة عليها كما لم
 تتحدث هي عنه وكل ما يعرفونه أنها فقدت أبويها وهى طفلة صغيرة
 وقد رباهما عمها ويعقب الولد الكبير بأن والده أخبره يوماً أنه تزوجها
 أثناء قيامه بعمله فى سفارة تركيا ويظهر على وجه الضابط أنه صدق
 ذلك إذ وجد صوراً لها مع زوجها فى تركيا ولم يمر بخاطره أن هذه
 الصور النقطت لها أثناء تمضية شهر العسل فى تركيا ويتسم الضابط ليشجع
 الولد على الاسترسال فى الكلام وفى هدوء ورفق يسأله من الأشخاص
 الذين يترددون على البيت ؟ .. فيجيب الولد : لا أحد بعد تغيب
 والدى غير الشيخ مصطفى وتقاطعه البنت الصغيرة أن له لحية كبيرة إذا
 حضر اختيم منه لأنه يأكل الاطفال الصغار إذا لم يسمعوا كلام أمهم
 ويقول الولد الأوسط .. أننا نخاف منه لأنه يقدر يسلطه الجن علينا يحرقونا ..
 وتقاطعه البنت .. صحيح .. لقد حرق البيت وكان يريد أن يحرقنا لأننا
 لم نسمع كلام — ماما — ثم يقاطعها الولد الصغير لأننا قلنا تسقط
 صهيون وتعلم البنت هل صحيح الجن تحرقنا إذا قلنا تسقط صهيون والشيخ
 مصطفى هو زعيم الجن يسمعوا كلامه وبصوت جاف يقول الولد
 الكبير .. أخواتي يرددوا الكلام مثل الببغاء .. لقد قالت والدتي
 ذلك عندما كانت مريضة ولا تحتمل أن ازعاج وعندما ثرنا وهتفنا ..
 أدعت ذلك لتخيف أخواتي لكيلا يصيحون وهى نائمة متعبة .

هنا لا يتمالك الضابط نفسه فيضحك ثم يسأل الولد الكبير عن

المسئمة الذى يقيم فيه الوالد وينصرف مع من معه .

ويقفئ الولد الكبير مبهوتا خالي الذهن تماماً من حقيقة الموقف ونسى مع ازدحام ذهنه بشقى الخواطر التي صورها هذا الموقف في صور مختلفة تتعاق كلاً بآبائه وحده فهو بطل المأساة في حسبانته . . . نسو صورة المرأة المنشورة في الصحيفة التي أشبه أمه تماماً ومربخاطره فيما مر الورقة التي أخذها الضابط من دولاب والدته واشتد خوفه وهلعته وتبادر إلى ذهنه انها لا بد أن تكون متعلقة بقضية أبيه فقد أفهمته والدته على أنها على اتصال بمن يدافع عن والده . . . ويرى أن الموقف لا يحتمل التهرب ولا بد من الاتصال بآبائه . . . فحمل معه الصحيفة وذهب مسرعاً إلى المستشفى لمقابلة أبيه ولكن طلبه رفض لأمر لا يدرىه وظل المسكين حبيس الهواجس والخواطر السوداء يمر بخاطره كل مكروه عدا فكرة واحدة . . . وهي أن أمه يهودية وجاسوسة لصهيون . . . ومضى النهار وأوشك الليل أن ينصرف والوالد قلق حائر لا يدرى ماذا يصنع فالام لم تعد من الخارج منذ البارحة وليس في مقدوره أن يحطم الأسوار ليقابل والده وباتت الدنيا في ناظره جبهة سوداء تندر بوقوع محنة يشعر بالآلامها قبل وقوعها هون أن يدرك حقيقةتها بالضبط . . . وتتلاعب بهم جميعاً خواطر الآلام والأحزان كل منهم حسب تفكيره ومشاعره . . . فالصغار يتألمون لعدم عردة أمهم ومرض والدهم . . . والكبير يستبديه الحزن واللامى والخيرة والإرتباك ويدفعه ذلك إلى اتصال بأصدقاء والده من لهم سلطة إلى حدهما للسعى له كي يقابل والده . . . وتأثر له صديق لوالده فسمى له ولم يلبث حتى اتصل به ليبشره بأنه استصدر تصريحاً له بمقابلة أبيه . . . وكادت فرصة هذا اللقاء تكتسح آلامه وهو في طريقه إلى أبيه . . . فلما دخل عليه وجده في حالة أعباء شديد وقد ازدادت حالته

الصحية سواء كأنه مريض منذ أعوام طوال . . وأخبر الولد والده بما حدث بالضبط منذ تغيبت أمه وتفتيش رجال الأمن منزلهم والعثور على ورقة في دولاب الأم وبعد أن انتهى الولد من سرد الاخبار عرض عليه الصحيفة مشيراً إلى ضرورة المرأة التي تشبه أمه وبدل أن يلتقط الوالد الصحيفة في لحظة يظل ساكناً كأنه لم يسمع شيئاً دون أن ينظر إلى الصحيفة ويعود الولد ليسأله هل زارته أمه خلال هذه الفترة ؟ فينفي الوالد زيارتها له ويسأل الولد : لاذن أين هي الآن ؟ وإزاء إلحاحه بضرورة مصارحته عما يحفل بنظر إليه الوالد بعينين مغرورتين بالدموع وبصوت تخنقه العبرات يقول . . الله يرحمني ويرعاكم يا وادى . . كن أما وأباً لأخواتك يا ولدى حتى يقضى الله بقضائه فانتفض الولد مذعوراً وغمغم وقد غمرته دموعه قائلاً : وراك الله شر السوء يا أبى . . ولكن أين والدتى .

فقال الوالد . . الله وحده يعلم . . قال الولد في إصرار . . لا بد أنك تعلم خبرنى بصراحة .. هنا يدخل الحارس ليعلن للوالد انتهاء مدة الزيارة ويشعر الولد بأن قلبه ينزف دماً وهو يودع والده وتخرسه اللوعة فلا يعلق على والده الذى أوصاه بإخوته وأن يتصل بصديقه فلان إذا احتاج لآى شيء . . وخرج الولد والحزن يعتصر كل جوانحه تاركا والده غارقاً فى بحر أسود من الهم والهواجس القاتلة وبعد أن استرد الولد وعيه الذى شرد حيناً وراء الزوجة الحائنة وحيناً وراء الأولاد المساكين لمح الصحيفة التى تركها والده فديده وأصابه ترتجف كأنها روح مغلفة بالورق تشفق على الرجل ولا تريد أن تمزق آخر ما تبقى فى نفسه من خيوط الأمل فى برائه .

وهم ينظرون على الصحيفة ثم استقر بصره في هلع على صورة المرأة
المنشورة وغاب الرجل عن نفسه وقد امتقع وجهه وارتعشت عضلاته
وانقبض كأن الحى سيطرت عليه من قمة رأسه حتى أخضت قدميه وظل
المسكين يكابد آلام جسمه وحنى تفكيره حتى حان مغيب الشمس
فطالب من حارسه راجيا أن يحضر إليه صحيفة المساء ولم يكده يتسلها
ويتصفحها حتى وقع بصره على صورة المرأة .. أنها زوجته .. يا للمول
وقد كتب تحتها تفصيلات أخرى جاء فيها .. إن هذه المرأة ثبت من
التحريرات أنها كانت يهودية ثم اعتنقت الإسلام لأنها تزوجت برجل
مسلم مصري ذا منصب كبير على أنها كانت على صلة دائما باليهود مما
يثبت أنها لم تستنق الإسلام إلا في الظاهر فاستغل زوجها الفنى المرموق
كما ثبت أنها كانت على صلة بشبكة جواسيس متصلة بصهيون وكانت
تجمع التبرعات باسم العرب لتقديمها إلى صهيون عن طريق هذه الشبكة
مستغلة مركز زوجها وساطته لتسهيل مهمتها . ووقع الرجل حبس
هنياء مستعرضا تصرفاتها كلها منذ تزوجته حتى الآن وأدرك أن
الخريطة التي ضاعت منه هي التي سرقها قطعا وهي التي افترسته الحريق
لتخفى معالم جريمتها وبدأ يحال من جديد خفايا كل تصرف لها وكل
حدث ، وهاله الفضيحة التي سوف تطارده أينما اتجه إن قدر وثبتت
براهمه .

وأحس بألم بعض قاتل من فرط الحزن والفجيرة لهذه المصيبة
التي نزلت عليه وشعر بأن الألم يرشك أن يقضى عليه وتذكر أنه
لم يتناول الدواء وقد نهته الممرضة بضرورة تناوله إذا اضطرت للتأخر

بعض لحظات بالرغم منها وراح يشرب منه دون حساب عن عمد مع علمه أنه يجب أن يأخذ نقطة معدودة لأنه قاتل إن زاد عن العدد المقرر ودفعته مأساته المفجعة إلى شرب الدواء مرة واحدة ولم تمض لحظات حتى صرخ من شدة المص و قبل أن يسهفه أسلم الروح .

وكان موته انتحارا عن عمد خشية إعدامه لخيانته الوطنية وراحت الناس تتناقل خبر انتحاره بأساليب مختلفة البعض يبرئه من وصمة الخيانة والبعض يدينه . ونسى الولد كل شيء إلا موت أبيه منتحرا كما قرر طبيب المستشفى وكانت كارثة انتحاره فوق كارثة الموت نفسه ووقع الأولاد في حنة لا يعرفون لها نهاية . . وكان أكثرهم حزنا وهما الولد الكبير لشدة تعلقه بأبيه . تعلقاً يفوق تعلق الأبناء بأبائهم . . ونضج تفكيره إلى حد ما ومرت الأيام وهو مشرد لآحزانه وهمومه وكأنه مصلوب فوق عامود من اللهب المحمى بصلابه ناراً وعذاباً ولا يدري كيف يتخلص منه . . وتحت تأثير عطف أهل أبيه وأصدقائه المقربين بدأ يتحامل على آلامه ليفكر في مصيرهم ثم خرج من نفسه وبدأ يفكر في أمه لقد ذهب والده وذهب معه سرا كان يخفيه عليه ولم يشأ أن يصارحه به لأم لا يديره . . وبدأ تفكيره يتجه من جديد إلى البحث عن أمه لمعرفة مقرها أو مصيرها . . وراح يواصل من جديد البحث عنها في كل مكان تتردد عليه أو لها صلة بأهله وفيما هو عائد إلى منزله من المدرسة يوماً شعر بعطش شديد اضطره أن يدخل مقهى على ناصية الشارع الذي يقطن فيه وكان والده من رواد هذا المقهى أحياناً وكأنه أراد عن غير عمد أن يتصل مباشرة

بالجاهل ليتعرف على خفايا صدورهم وطوايا نفوسهم ومختلف آرائهم
في موت أبيه بجانب الحالة الراهنة لاعتقاده أن المقهى تجمع بين مختلف
العقليات . . وأثناء تناوله الماء ليطفىء عطشه ترمى إلى مسمعه حديث
أحد الجالسين على المقهى يقول لرفيقه مسكين هذا الشاب .. رحم الله
والده كان شهماً كريماً ذهب المسكين ضحية زوجته اليهودية جاسوسة
صهيون الخائنة .. رحمه الله لقد انتحر مؤثراً الموت على الفضيحة التي
ستلازمه أبداً .. وقاطمه رفيقه ولم لا يكون مثلها خائناً وهنا احتد
الرجل في صدق قائلاً : أنا أعرفه تماماً .. عرفته منذ ثلاثين عاماً قبل
أن يتزوج . اشتغلت في بيت أبيه الباشا سنوات صباى مع والدى ..
لأنه رجل عف شريف .. لعنة الله على الحب الذي يربط الرجل بشيطان
في صورة امرأة وعاد يجالسه يقول .. وما قصته .. فقال الرجل
وهو يقف .. لو لم أكن مضطراً للذهاب إلى عملي لفصصت عليك قصة
تستطيع أن تسميها باسم بطلتها جاسوسة صهيون ويمكن قراءتها في
صحف اليوم إنما قصة ينتفع بها كل من تسول له نفسه الزواج من
أجنبية فاقراها في الأهداف ولم ينتظر الولد ريثما ينتهى الرجل من
كلامه وراح يجرى كالمجنون ليشتري الأخبار . واشد ما هاله رؤية
صورة والده المتهم بالانتحار وصورة والدته اليهودية جاسوسة صهيون
وتحولت أعصابه إلى طرب أوشك أن يحرق مخه وكان مسأ من الجنون
أصابه شاعراً بأن صواعق السماء كلها تنزلت فوق رأسه تدفعه في جنون
طاغى للانتقام متمنياً أن يقتل كل يهودية تعترض طريقه وتحت تأثير
ضرورة حماية إخوته هـباً جوح ثورته مركزاً انتقامه على هدف
واحد دفعه إلى المضى في طريقه مستحثاً خطاه كأنه يتجهل اللحظات

الكيلا تفوته الفرصة وسرعان ما يصل إلى منزله شاعراً بأن النار المتأججه في صدره لا تطفئها غير برودة دم مسفوك واندفع دون وعى في طريقه إلى منزله ولم يكدي دخله حتى أسرع إلى غرفة أمة وفي ثورة نفسية حادة أشعل النار في أثاثها ومحتوياتها بما فيها من ملابس وأدوات زينتها وكل ما يشير إليها متأملاً اللهب صارخاً في انهيار عصبي ليحترق كل شيء لمسته يديها ومشى عليه بقدميها ثم فتمح درج أبيه والدهوع تنهمر وأخذ مسدسه وخرج يعدو في الطريق كأنه على سفر عاجل وذهب لمقابلة المسئولين في المحافظة ليستصدر أمراً لمقابلة أمه وتحامل على نفسه ليقاوم نظريات الاحتقار المصوبة إليه من تقدم إليهم وادعى أنه يريد أن يسألها عن ورقة ميلاد أخيه الصغير بمناسبة تقديمها إلى المدرسة الذي سيأخذ بها ولم يعلق على السخط الذي تراهي إليه في حنق وغيط من الحاضرين وأشفق عليه ضابط وهون عليه الموقف وهو يخاطب من حوله . . إن والده شهم عظيم ولا ذنب له وسمح له بمقابلتها بعض دقائق . ودخل عليها واستردت أنفاسها واصطنعت الحزن وهي تختمهم ولدى وفي براعة غافل الجندی وفي سرعة خاطفة أفرغ المسدس في رأسها وعندما همت بصوت مخنوق مضطرب تناديه باسمه . . صارخة في هلع . . أتقتلني يا ولدى . . صرخ الولد . . كما قتلت أبي وفتلت قبله ألوف الشهداء نحن أبرياء منك أيها الخائنة . . وقدم المباحكة وكان أهل والده أقاموا له أكبر المحاميين للدفاع عنه ولسكنه طالب من المحكمة أن تسمح له بالكلام لأنه يعتقد أن جريمته عابثة وقد اعترف بها في الترو وما زال يؤيد اقترافه لها ولا يظن أنها تحتاج للدفاع وسأل المحكمة ؟ كيف تفرق المحكمة بين قاتل بدافع

لإجرامى تحت سيطرة الشر المطلق وقاتل بدافع وطنى ليحمى الوطن
من شرور عدوه . وبصوت حماسة الشاب الفدائى قال :

لقد قتلت هذه المرأة التى اقترفت جنايتين . جناية خداع زوج
برىء عفا طاهر وسرقته من أجل إسرائيل وخيانة وطننا النـالى
والاستيلاء على أموال المواطنين بأدم التبرع للعرب ومى تفعل ذلك
كله من أجل إسرائيل لقد قتلتها . أعترف . لأنها قتلت زوجاً بريئاً
شريفاً طاهراً مخلصاً لوطنه وعروبته وساهمت فى قتل العرب . . . ألم
تكن مساعدها لصهيون والنجس من أجامهم مشاركة فعالة فى قتل
العرب ؟؟؟

يودى لو تسمح لى الحكومة قبل أن تحكم على بالإعدام أن كان
ذلك يتمشى مع العدالة أن أقتل أولاً كل من اشترك فى قتل الألوف من
العرب . . أريد أن أطفىء النار المتأججة فى قلبى بدم صهيون الباود . .
ولتسمح لى المحكمة أيضاً أن أوجه نظر الأمن فى بلادنا وفى
كل بلد عربى إلى ضرورة مراقبة كل يهودى مهما كان جنسه ووطنه .
فإن دم اليهودى لا يمكن أن يتحول إلى دم عربى .

لقد أخطأ أبى بحسن نية يوم تزوج هذه المرأة وما أنذاكفرت
عن خطيئته بقتلها . ولتحكم على المحكمة بما تشاء . . وحسب أنى
أخذت بشار وطنى وأبى . .

وهتف جمهور الحاضرين . إنه بطل . إنه بطل ، نحن نطالب
بإيادته استناداً لحماية الوطن من شرور جاسوسة صهيون .
وأعلنت الاستراحة المداولة

يتيمة السويس

فجأة أنقص الوحش الكامر على الجمهورية العربية المتحدة في ليلة
ما عرف التاريخ لها مثيلاً في تاريخ الغدر والعدوان

وما هي إلا ساعات معدودات حتى أصاب العدوان الأنم
السويس إحدى عرائس البحر الساحرة وألحق بها تدميراً هائلاً وأطاح
بماشيد الزعيم الخالد جمال عبدالناصر صانع حضارة الجمهورية العربية المتحدة
في هذا العصر ومن خلاص قناة السويس من براثن الاعتداء والمستعمرين
والمغتصبين وحول نخيرات إلى أبنائه

وفي غمضة عين تحولت السويس إلى خراب ودمار واكتست
بثوب الفجيعة الكبرى والحزن البالغ وتلاشى أفقها الصافي البديع مكتسبة
بضباب النكسة المروع وارتفعت أرواح الشهداء إلى السماء ترفع إلى
الله سبحانه مظلة الإنسانية واعتداء القوى الجائر على الضعيف المسالم
وامتلات المستشفيات بالجرحي والمصابين

ورغم ذلك لم يستسلم أبناء الوطن إلى الهزيمة بل تحركت
الوطنية وغالبت اليأس والخوف وانتفضت الثورة الكيئة في قلب كل
مواطن ولم يسكن اليتم وقفا على يتامى المناطق المحتلة بل استشعر كل
عربي بأن المصائب مصابه والكارثة حلت بأهله وذويه وأدرك المواطنون
بأن الجهاد ليس وقفا على وطن دون وطن وأن الدفاع عن الوطن العربي

ليس قاصراً على فئة دون فئة وإنما يتحتم على كل مواطن شريف أن يدفع ضريبة حياته الشريفة بقدر ما يتطلبه الشرف من تضحية وجهاد ولتكن قيمة هذه الضريبة كما تكون حتى ولو بلغت أرواح الملايين من المواطنين كما أشار بذلك الرئيس الخالد جمال عبد الناصر إذ خير للمواطن الشريف أن يموت حراً شريفاً من أن يعيش عبداً ذليلاً وتنبه المواطنون وكل عربي مسلم بمسيحي حر في أقطار العالم بفضل توجيه معلم الجيل جمال عبد الناصر إلى أن النفس الشريفة لا يمكن أن تترك للأمن والسلام فهي ساعية أبداً لاثارة الحرب والعدوان لأنها كالديدان لا تعيش إلا في الماء العسكر . . . وتحولت ثورة القواد الأحرار إلى ثورة جماهيرية اندلعت حماسها من قلب كل مواطن وإذا كانت الأمم الطاغية تظن أنه في مقدورها أن تفتصب الأراضي دون محاولة لردعها واسترداد الأرض المفتتصة فبئس الفكر فكراً وبئس المصير مصيرها . . . إذ بالإيمان والعزم والإرادة والتضامن والوحدة والعمل وفق تعاليم المعلم القائد جمال عبد الناصر تستطيع الأمة بعون الله استرداد الأراضي المحتلة حريصة على تقوية جيشها وتدعيم مؤسساتها وتركيز منشئاتها وسيكون النصر لها بإذن الله والخذلان للمعتدين

لحم يقل المنعم للقائد فمكرة توجيه أو تنبيهه إلا وكان لها الأثر الفعال في قلب وعقل كل عربي وكل من يتطلع إلى تحرير وطنه المستعبد في أنحاء العالم وكأن ثورة جمال عبد الناصر فتحت أبواب الحرية المغلقة فحررت كل ساكن ونهبت كل نائم ولم تلبث ثورته حتى اهتدى بنورها كل حر شريف في البلاد العربية والأفريقية والآسيوية وإذا بحرارة الثورة

الحررة الكريمة تسرى في شرايين كل قادر على حمل راية الكفاح والنضال
لتحرير وطنه . وبعد أن كانت مصر الثائرة بقيادة رائد ثورتها وباعث
عظمتها ومؤسس نهضتها الحديثة . هي المسكفة وحدها في سبيل تحرير
الشعوب الكسيرة الجناح اندلعت نار حماسة ثورتها في كثير من البلاد
العربية التي طاب لها أن تسير في ركب المعلم القائد مستظلة براية العروبة
وكان في مقدمة هذه البلاد الجزائر وليبيا وسوريا والسودان واليمن وكثير
من الدول الافريقية .

ولم تسكد الجماهير تسترد أنفاسها بعد النكسة تتأثر حرارة
أنفاس الرائد العظيم جمال عبد الناصر حتى اتخذ كل طريقه في سبيل
إعلان شأن وطنه وتحرير الاراضى المحتلة وفق تعاليم المعلم القائد وبات
صوت الزعيم يرن في أذن كل مواطن منبها محفزا للجهاد وام يكدينته
من ألقاء خطاب تراجعته عن التمنحي تأييدا لرغبة شعبه المؤمن به المعتقد
لمبادئ . . حتى عاد الأمل إلى الجماهير المحتشدة لسماع قراره باستئناف
نضاله وكفاحه من أجل تحرير الارض المحتلة وكان بين الجماهير فتاة
حماها الصليب الاحمر مع الجرحى إلى مستشفى المنصورة وكان صوت
الزعيم الخلد اكسير الحياتها ومصلا لفح وجدانها بأمل قوى عارم دفعها
للمفكير في المشاركة الفعالة للسير في ركب المناضلين الاحرار وكتب
الله لها الشفاء إذ لم يكن جرحها خطيرا وغادرت المستشفى وخرجت
لاول مرة في الطريق حائرة لا تدري إلى أين تذهب ووقفت على شط
النيل أمام المستشفى تتأمل النيل وهو ينساب بهدوء في طريق نهايته
ولاحظ رجل خرج من المستشفى مع من تعافوا أنها تلتفت حولها في

حيرة وكان رآها من قبل في المستشفى فسألها : هل تبحثين عن أحد ينتظرك ؟ فقالت لا ... أنا من السويس وقد استشهدت أسرتي كلها عدائ ولي حالة تقيم في دمياط واست أدري كيف أذهب إليها فسال الرجل . . أنا من دمياط وكنت ذهبت إلى السويس لزيارة قريب مريض لي هناك وقد استشهد رحمه الله ويسرني أن أعاونك وأذهب بك إلى خالتك إذا شئت فوافقت واستطاع الرجل أن يستدين مبلغاً من المال من صديق له في المنصورة ورافقه الفتاة حتى وصلا دمياط وكان حديثهما خلال الطريق حول المأساة التي لم يشهد الوعان العربي لها مثيلاً في تاريخ الاستعمار والاعتماد وأبدى كل من رافقهم من المسافرين استعدادهم وعزمهم على النضال تحت راية جمال عبد الناصر .. وكان بيت الرجل يطل على البحر فتركها في ضيافة أسرته التي أعاد إليها للطعام أئنة بعد الطاع والفرع الذي استبد بأفرادها لوجوده في السويس أثناء العدوان وخرج ليسأل عن بيت خالتها الأرملة وكان للرجل صبيته في مثل سن الفتاة لم تبلغ سن العشرين بعد فصحبتهما لتضيئة بعض الوقت في رأس البر ريثما يعود الوالد .. وهناك عند اللسان وقفت الفتاة بتهمة السويس تتأمل البحر وهو يمتصن النيل في نهايته احتضاناً يفيض حناناً كأن كل قطرة منه تقبل كل قطرة من قطرات النيل ليتبنا ضرورة للتضامن والتعاون والتآلف بين القوى والضعيف حرصاً على البقاء الأزلي ، تبارك الله تعالى الذي جعل لكل شيء رسالة ترتبط برسالة أخرى موصولة بها وكرمز حي للاشتراكية الواقعية الأصيلة .

نيل ينبع من السودان ليتزوج بماء البحر في مصر . . . ورغم اختلاط مياههما فلم تتأثر عذوبة مياه النيل بأصلاح البحر معترساً كل منهما بأصالته ومعبراً عن قدرة الخالق وعظمته

ومضى الوقت حتى أرخى الليل سدوله فكسا المرء ظلاما حجب
عن ناظريها مفاتيح الأشرار والبهجة وعاودها الإحساس الحزين وغيرها
شعور اليتيم والوحدة وسيطر عليها هذا الإحساس الذي لم ياطف من
حدثه إلا صوت الزعيم القائد الذي ترمى إليها من المذيع وهو يهيب
بالجماهير إلى التكفاح والعمل ومر بخاطرها استشهاد أمها وأبيها وأخوتها
وخيل إليها أن الله استبقاها لتأخذ بثأرهم إذ كانت في المستشفى تقوم
بتمريض المرضى عندما أظاحت القذائف بيتها وحولته بمن فيه إلى حطام
وأنقاض .. وبعد أن عادت إلى بيت الرجل بمرافقة ابنته أخبرها أن
خالتها غادرت دمياط إلى القاهرة منذ شهر وأعطتها عنوان الخالة التي
أخذه من الجيران وتطوع بمرافقتها إذا شاءت للذهاب معها إلى القاهرة
وإن كان يسره أن تقيم مع أسرته ويمكنه أن يجد لها عملا في مستشفى
دمياط ما دامت تجيد فن التمريض وترك لها التفكير حتى الصباح .

ولم تم الفتاة وظلت طوال الليل تفكر وغالبها الأسى وسيطرت
عليها الرغبة في الانتقام .. وصبح عزمها على أن تشترك في المعركة ولكنها
لم تشأ أن تصارح أهل البيت .. ولم يشأ الرجل أن يوقفها مبكراً إذ كان
لابد أن يغادر البيت في الصباح الباكر ليستأنف عمله الخارجي . وبعد أن
تناولت الإفطار استأذنت أهل الدار لتخرج وحدها لتشاهد معالم
البلدة .. وانصرفت بعد أن تركت للرجل رسالة شاكرة له أريحته
ونبله وصارحته بأن لديها خاتماً وحلقاً وسواراً تستطيع أن تستعين
بشخصهم على السفر إلى القاهرة والبحث عن خالتها .. وترك البيت دون
أن تشعر أهل الدار أنها ذاهبة لغهم عودة وفي الطريق سألت عن عمل

صائح وبعد أن اهتمت إليه باعت مصاعها واحتفظت بالنقود في منديل
ربطته على ذراعها كأنه جريح .. وركبت أتوبيس القاهرة .. وكان
لا بد أن يدور الحديث حول المعركة القاسية من أجل تحرير الوطن
وتحدث الجميع في حماسة وإخلاص وثقة بقدرة الجيش والشعب على
ضربه قيادة الزعيم البطل جمال عبد الناصر وكانت الفتاة أكثرهم حماسة
واستجابة لدعوة القائد فلما وصلت إلى القاهرة أخذ كل راكب طريقه
عدا رجل واحد وقف بالقرب منها كأنه يتقرب إلى أين تسير واضطرت
الفتاة أن تسأله كيف تذهب إلى مصر الجديدة فأخبرها أنه ذاهب
أيضاً إلى مصر الجديدة .. وسوف يتصل تليفونيا بمنزله يرسلوا إليه
السيارة بدلا من أن يركب أتوبيس أو تاكسي والمواصلات منعبة للغاية
ويشرفه أن يوصلها إلى بيت خالتها .. فشكرته الفتاة موقنة أنه رجل
شهم نبيل مثل الرجل الذي استضافها في دمياط وتركها في مكانها تنتظره
بعض لحظات .. ولم يلبث حتى عاد يقود سيارة ملاكي قائلا لها :
لقد صرفت السائق إذ أحب أن أقود بنفسى أحيانا .. ودلفت بهما
السيارة في طريق ثم انخرقت إلى طريق آخر وعندما قالت متى نصل
مصر الجديدة .. لقد أوشك النهار أن ينصرم .. قال : إن الغارات
أفسدت بعض الطرق وتعجز نظام المرور .. ثم توقف عندما سمع صفير
الإنذار .. ومر بعض الوقت .. ولم يكدر يستأنف السير بعد صفيره
الآمان .. حتى توقف في طريق آخر لغارة جديدة .. وراح يلعن
صهيون ويسبها والفتاة تستزيده لعنة وسبها ومضى النهار وانقطع التيار
الكهربائي واختلطت الأصوات الصاخبة الحائرة المثارة وارتطم
الجسوم المزدحمة في خضم الظلام الحالك .. وعاد بها الخيال إلى مشاهد

العدوان الاليمة فاندفع الدم إلى رأسها وخيل إليها أن مبانى القاهرة
سوف تنهار فوق رأسها كما أنهارت مبانى السويس ولن تتحقق أمنيتها
لأنها لا تأخذ بالتأثر ورفعت وجهها إلى السماء وهي تطل من نافذة السيارة
لادعو الله أن يطيل عمرها لتسهم في المعركة المستشهادة في ساحتها وعرف
الرجل أنها من جرحى السويس واستمع إلى حديثها عن أهوال العدوان
الاثم وما لقيه المدينون الآمنون وما لحق بالارض المحتلة من دمار
وخراب كانت تتحدث والرجل يسمع إليها دون تعليق وهي تظن أنه
ماخوذ من فرط الألم والامسى وعرجت بهما السيارة في طريق تمتدحوطه
صحراء فسيحة خالية من المساكن ثم اتجه نحو طريق به قليل من
الغيلات الحديثة وبدأت تشعر برعدة تتمشى في أوصالها واحساس مرغاض
خفيف يراودها فغالبته وقالت للرجل يبدو أن الظلام الحالك يحول بين
الرجل الطريق الذى تريد . فابتسم الرجل في خبث وقال بلهجة لم تألفها
رأيتها خوفا واضطرابا وشكا : أنت وحيدة وأنا وحيد فما رأيك
لو تزوجنا . . اسمى محمد بركات أعمال مهندسا وأقيم مع أمى العجوز .
وشمرت الفتاة بأنها وقعت فريسة هذا الرجل فارتجفت واسكنها قاروت
وحسنت عقلها وقالت فى هدوء وقد اغتصبت بسمة تذهب إلى خالتي
أولاً ثم نتحدث فى هذا الأمر . . إن خالتي أرمل ولم تنجب أولاداً وهي
لهبى ولا شك أنها تحقق كل رغبة فيها سمادنى . . فقال الرجل بلهجة جادة
لست أبها . . فتزوج أولاً ثم نذهب إلى خالتك قالت . . بهذه البساطة
ليس أكرم لك أن تطالب يدى من خالتي وأعدك بموافقتي فأنت رجل
طيب ولك مركز جدير بعروس أحسن منى . . قال إذن تزوج أولاً
وبدا التمسيم والعزم فى أسلوبه وفى عينيه واضحا فادركت اليتيمة

أنه لا مناص من الخضوع لمشيئة على أى صورة فبرزت رأسها علامة الموافقة دون تعقيب وراحت تفكر ما عساه تفعل مستعينة بالله وحده على حمايتها ولاح لها من بعيد ضوء متبرج يشير إلى أنه يقال أو حلواقي فخطر لها خاطر دفعها لتمثيل دور الجائعة فقالت فى شبهه دعاية . هل يسمح خطيبي بشراء طعام لأنى لم آكل منذ الصباح الباكر وقد نجد عند هذا الضوء الذى يبدو هناك طعاما يشتري ؟ .

فارتاح الرجل للهجتها واطمأن لصراحتها وحاول أن يقبلها فامتعت قائلة أصبر حتى يباركنا الله .. قال . تعالى نعقد العقد ثم نتناول الغداء فى مطعم عظيم جدير بك وبعرضنا .. قالت .. لا كل نصيره أولا إذ اكاد أموت من الجوع وهنا اقتربا من الكشك فقالت إذا كان عنده كازوزه .. أنا عطشانه جدا . وساندو تش بسيط ريثما نأكل وجبة كاملة .. فاطمأن واتجه صوب الكشك مسرعا وفى الوقت الذى كان يتحدث فيه مع البائع لأعداد سندوتش وحلوى . نزلت الفتاة من السيارة مسرعة واتجهت صوب جماعة يبدو أنهم من العمال إذ كان على مقربة من الكشك عمارة كبيرة لم يتم بناؤها بعد واستنجدت بهم وشرحت لهم خلاصة أمر الرجل الذى لحق بها ليدعوها فى هدوء واطمئنان كأنه لم يقترب إنما . ورفضت الفتاة أن تعود معه أو تتناول الطعام الذى كان بين يديه . وعندما هم بجذبها انفجرت حوله الرجال وسرعان ما أخرج من وراء سترته مدفعاً رشاشاً وهنا وقع على الأرض جهاز تسجيل على شكل الولاة وقبل أن يحرك الزناد طرقوه ورموه على الأرض وقيـدوه وقتلوه ولشد ما هالهم أنه يحمل بطاقة شخصية باسم محمد بركات مهندس

طياراً. وقد لصق صورته وبعد التدقيق لوحظ أنه الصورة وضعت مكان صورة سابقة . . ثم وجد داخل بطاقة الجاكت بطاقة أخرى باسم هنري كوهين مخبرات اسرائيل وعليها صورته . . ومر الليل وهي لا تدري كيف مر فقد كانت في شبه إغماء حسيه فيها هلع وفيها اطمئنان ، فيها قلق وفيها أمان كل ما تذكره أنها ظلت تحت حراسة العمال الذين أخطوها بالرعاية والحنان وقد موالىها الطعام والشراب فلما انبثق نور الفجر مر بهم عربة من عربات الجيش فاستوقفةوها وكان بها أحد الضباط ولما عرف بما حدث للفتاة سمح لها بركوب العربة لكي يوصلها إلى قسم مصر الجديدة ليتولى توصيلها إلى بيت خالتها وبعد أن استقر بها المقام عند خالتها بعض أيام بدأت الجمهورية في حرب الاستنزاف ضد إسرائيل ، وشبت نار الثأر بين جوانح اليتيمة وفكرت طويلاً وكثيراً في وسيلة تسهم بها في المقاومة الشعبية ولم تلبث حتى صبح عزمها على تنفيذ ما اعتزمت عليه . .

على الجبهة عند منطقة الفدائيين جلس لإجلال يتحدث إلى رفيقه (سائد) مؤكداً له أن النصر للعرب إن شاء الله بعد الوحدة التي رفع رايتها القائد الخالد جمال عبد الناصر وهذا التضامن الأفريقي الآسبوى مع التماذج والنآلف العربى . وعقب — سائد — بدوره أن الإيمان بالله والثقة المطلقة فى تعاليم الموجه جمال كفيلا أن بتحقيق النصر مادام كل عرب يجاهد فى سبيل الله والوطن العربى . . وتشعب الحديث . .

فتحدث جلال عن نفسه وأنه آثر بعد تخرجه من الجامعة الانضمام إلى
الفدائيين بدل العمل في القنارات المسماة إذ يستشعر بلذة بالغة كلما قتل
عدواً أو دمر مصنعاً أو أباد كتيبة أو حطم مدرعة أو أى شيء وتحدث
سائد عن نفسه ، وقال أنه يتيم وحيد وما تبقى من أسرته التي استشهدت
في عدوان ٥ يونيو سنة ٦٧ في السويس وتوطدت بينهما علاقة قوية
فوق المؤلف في العلاقات التي تقوم بين الجنود على أن سائد كان كثير
التفكير في هذه العلاقة مستشعراً براحة نفسية هائلة فيها دفء وحنان
لكنه لم يخرج على تفسيرها بغير المشاركة الوجدانية الصادقة في سبيل
مصر وإن كان يرجح أحياناً بأنها لون من ألوان الحب أو لعله أدرك أنه
أحب — جلال — لمثاليته وصفاء قلبه وصدق وطنيته ، وفي أمسية
صافية لم يمر بها غبش المعارك الضارية وكان جلال جد مرهق من مشاركته
في عملية العبور الذي وفق فيها مع رفاقه ، . أراد سائد أن يهرن عليه
أثر الإرهاق ويلطف من حدة الجهد ، فخرج به من جر المعركة إلى جو
القاهرة حيث كان يهنأ قبل العدوان بأطايب العيش ورفاهية الأسرة
وطمأنينة الإقامة، فسأله : أ ولم تحب يا جلال ؟ وكلمة أحببت ؟ ومن
هذه المخطوطة ؟ .. وابتسم جلال في وداعة وهو يقول : لم أجد حتى
الآن أية فتاة ! .. إن عروس أحلامي وراء أسوار الاستحالة يا صاحبي
ويستلح لحظة وهو يتأمل وجه رفيقه الذي خلع قبعته وانقسم في دعاة
مردفاً .. اتعرف يا سائد لو أنك تركت شعرك يغطي رأسك وعنقك
مسدلاً إياه وراء ظهرك لكانت حسناء جميلة .. لاني أتخيلك كلما
خلعت غطاء رأسك عذراء قصت شعرها ، صدقتى وجهك جميل
وملاحك ملاح أنثى ثم يضحك مقهقها أخشى أن تكشف الأيام بعد حين

إن الله خلقك أنثى ثم أسبل عليك ستاراً خفياً لتسكون في عداد الذكور
وقد يهتز هذا الستار بعد حين وتنطلق الأنثى رغم أنفك من أعماقك
ويعاود القهقهة في دعاية مردفاً.. من يدري.. عليك بعد حين تصبح أنثى
كأحدث للكثير.. ولا شك أنك قرأت في الصحف أنباء تحول ذكر إلى أنثى..
وأنثى تحولت إلى ذكر إن للطبيعة مفاجئات تعالينا بها من حين إلى حين..
وهنا تهدد — سائد — في مراة وعقب.. أرجو الله أن تفاجئتنا بالنصر
القريب إن شاء الله بفضل ما رسمه لنا قائدنا العظيم جمال عبد الناصر.. ثم ابتسمت
واستردت إحساسها الغائب وقالت: هب ذلك حدث يا جلال فقاطعها
دون تفكير.. كنت أتزوجك في التو.. إن عروس أحلامي تشبهك
تماماً في الخلقة والخلق وأنت أنقبتني زوجاً يا سائد.. أو ماذا
أسميك.. وفكر لحظة ثم قال — نصره — إذ سيكون النصر مرافقاً
لك إذن الله.. وقال — سائد — وكل جانحة فيه تمنى لو تحقق
هذه الخيال.. أقبل بلا تردد يا جلال — لأنني أحبك حباً لم يعرفه تاريخ
المحبين فطوقه جلال بذراعيه مقبلاً جبينة وهو يقول.. ليتك نصره
يا صديقي.. ليتك.. ومنذ هذه اللحظة بدأت مشاعر — سائد —
تقوى وتشتد وحيرته تعمق وتزداد وكتبته له واطفه يضي عليه لونا
حزينا وفي يوم ما استشعر بأن عاطفته نحو جلال — تحتاج لإرادته ولم
يجد منفذاً للخروج من منطقة مشاعره تلك غير أخذ أجازة طارئة
وبعد أن صرح له بالأجازة لم يجد أمامه طريقاً للهروب من نفسه غير الذهاب
بأى وسيلة إلى الدرب الذي كان يقيم فيه أهله في السويس ليقبل الرى
الذى احتضن أشلاء أسرته ولم يكد يصل إلى الدرب حتى التقى به أحد
الجيران الذى مد الله في عمره وحفظه من نيران الأعداء وبادروا الجوار

وهو يعانقه ويقبله يدموعه .. محمد .. محمد .. حمداً لله على نجاتك ..
 أين أنتك — ملوى — لتطمئن عليك .. لاشك أن المسكينة تنعاك
 مع والديها .. لقد حابها الصليب إلى المستشفى ولا ندرى أين هي ..
 وتمالك — سائد — نفسه وقال في إيجاز شكر آيا أبتاه .. إنها عند
 خالتها في القاهرة .. وعاد — سائد — أكثر قلقاً وحيرة واضطراباً
 وسامل نفسه .. أترام يستطيع كبت حبه الذي تسيل إلى أعماق أعماقه
 حتى النصر ورفعت ملوى المفلةحة زى سائد وجهها إلى السماء تناجي الله
 بما في سريرتها دون كلام دامعة العينين خافقة القلب والجوارح واعترفت أن
 تقضى على عاطفتها بالشاركة في الكفاح الفدائي وعادت إلى كتيبتها باسم سائد
 كما كان .. وبدأ أيام جات بمبرقية من خالته في القاهرة تخبره بضرورة حضوره
 لمريضها الشديد وكان لابد أن يسافر ورافقه جلال ليحميه من اعتداء العدو
 أثناء مرورهما في منطقة الخطر .. ولم نكد نسمع أنها في طريق خالتها حتى عاودها
 الشعور الحزين العميق الذي انمحي معه كل ما يبعث البسمة والأمل
 وبدت الحياة بغير والديها وإخوتها جهمة سوداء وتلاشى من خاطرها
 كل ما يوحى بالأمل والرجاء ! لها الله أني أليتيم أن يفتح قلبه لنور الأمل
 بعد أن غمره سواد اليأس والحزن والقنوط .

كيف يهرب من مطاردة أخيلة ما تنزل عليها من محن ؟ وكيف
 تقاوم اعتصار أعصابها كما تصور مستقبها الغامض المجهول .. لقد كان
 لها آمال حسان . سميدة بأحلامها الزاهرة وأخيلتها الباسمة .. إنها الآن
 كالغريق في بحر عميق تقذفها الأمواج ذات اللون قارة وذات الشمال
 قارة أخرى .. وتبين لها بعد أن استقر مقامها عند خالته أن الحالة

تمارضت لتدعوها إثر إعلان معركة حامية بين إسرائيل وهصر ..
لتطمئن عليه .. وفجأة انتابته حمى شديدة وكان لابد أن تتصل الخالة
للعيمة بتذكرها متابعه زى سائد واسمه بركز قيادته حريصة على تنفيذ
كل ما أشار إليه — سائد — للتبليغ عملاً وكلاماً .. وحول — سائد —
إلى المستشفى العسكري للعلاج . وكان لابد أن تنتحل بعض المماذير لكي
تعالج في المنزل خشية أن يتضح أمرها .

وشعر جلال أن الفراغ الذي تركه — سائد — بعد سفره
جعل حياته غير مريحة وأن — سائد — كان بالنسبة إليه مطلقاً
لأعباء الجهد ومخففاً لمناعب المعاناة .. واضطر أن يأخذ أجازة ليسأل
عنه بعد أن مضت مدة أجازته ولم يحضر وقد طاف بدعته أن إسرائيل
دأبته في الطريق بعد أن تركه .. وكان يحتفظ بعنوان خاتمه إذ قرأه
مرة في ورقة وقعت من عطفة — سائد — واستطاع دون عناء أن
يصل إلى بيت الخالة إذ كان بشواحي القاهرة خبيراً وأطرق الباب ..
وعندما فتح .. طالعه وجه فتاة جميلة قلف على رأسها إيشارب وترتدى
جلاباً أظهر فتنتها إلى حد جذب نظر جلال .. وسمر كل في مكانه
وقد أخبرت المفاجأة كل منهما فلم يدروا ماذا يقول .. وطال الصمت
حتى تذهبت الفتاة على صوت الخالة وهي تقول .. مين يا سلوى ؟ وقبل
أن تتكلم الفتاة .. قال جلال .. هل الأخ سائد موجود .. أنا زميله
الفدائي جلال .. ؟ .. واضطربت الفتاة .. وتلعثمت ثم تماهت
شعورها وغابت حيرتها وقالت .. أيوه يا أفندم موجود تفضل
وأفسحت له الطريق إلى غرفة الصالون .. قائلة .. عن إذك سوف
أخبر — سائد — وغابت عن ناظريه .. ونظر جلال يتبعها حيث

شدته إليها ونسى — سائد — وراح يفكر .. ترى من هذه
الحسنة .. لقد أخبره سائد أن حالته لم تنجب وقد استشهد كل
أخواته أثناء العدوان وبديها هر يفكر فيما عساها أن تكون هذه
الحسنة دخل عليه سائد بزيه تفدائي مرحباً معاً مقبلاً في شوق
بالغ وأخبره أنه تعافى والحمد لله وكان يتأهب للمودة الآن
وحمد الله على تشريرة ليقضى معه يوماً في القاهرة إذ لم يزل في إجازته
بعض أيام ولكنه كان سيقطعها من أجله هو .. وبعد تصفية بعض
الوقت طلب منه جلال مرافقته لزيارة أسرته فوافق .. وفي منزل
جلال .. اجتمعت الأسرة حولها مرحبة مهللة بمقدمهما واستضافت
— سائد — مع جلال أيام إجازة — جلال — حيث تشبث به
جلال قائلاً .. إنك قضيت عند خالتك مدة طويلة .. ولقد حاول
— جلال — أكثر من مرة أن يسأل سائد .. عن تكون الفتاة التي
قومت له الباب .. بل تمهل لو دعاء — سائد — لزيارة حالته هي
خلال مدة إقامته يرى الفتاة مرة أخرى ولكن سائد لم يفعل وفي
خلال فترة إقامة سائد في منزل جلال .. تعلقت أخت جلال بسائد
وحرصت على أن تفعل المعاذير لتتخلص عن محاضرات كلية الطب ..
لكني نحظى بمجالسة سائد .. متهزئة أي فرصة للتحدث إليه بينما كان يحاول
سائد — وقد لاحظ إعجابها به — الاعتماد عنها وعدم تمكنها من الانفراد
به وقد فسرت هي تصرفه هذا بالحرص الشديد .. لكي يكون عند حسن
ظن — جلال — به ولا يخون صداقته فازدادت تقديرأ وحباً له ..
ومضت الإجازة وذهب سائد بمرافقة جلال لتوديع حالته .. ولم تظهر
الفتاة .. وانظر جلال أن يسأل — سائد — هل خالتك تقيم وحدها ..

وفهم سائد ما يرى إليه بسؤاله فقال : أن لنا قريبة تزورها من حين إلى حين .. فقال — جلال — أظن هي التي رأيتمها عندكم عندما حضرت لك .. فقال — سائد — أجل لقد حضرت لتراني بمناسبة مرضي للاطمئنان علي .. وخيل لجلال أن بينهما علاقة . فقال : لم تفتح لي قلبك كله يا سائد ونحن نتحدث هناك سألتني عن الحب وفاتني أن أـالك .. فضحك سائد وقال : لو سألتك لأجبتك وفتحت لك قلبي .. فقال جلال : إذن أنت تحب ؟ فأجاب — سائد — ليس إلى الحد الذي تنصوره فقال — جلال — أني أهتمك لأنها جديرة بالحب حقا وغمز بعينه ، فأحمر وجه — سائد — خجلا . ولم يعقب وغير مجرى الحديث قائلا : وهل انتهيت من إعداد حاجياتك قبل الرحيل . فلزم جلال الصمت إذ كان واجبا ما هما مفكرا وكان سائد عليما بما يدور في خلده فعاد يقول : فهم تفكر يا جلال .. أتخشى الخطوة التي اعترهتم تنفيذها وقد رجوت أن توجل ريثما نعود ليسكون لنا شرف تنفيذها وتحظى بتهنئة قائدنا العظيم ورئيسنا المحبوب جمال .. وأشهد الله أنني أقسمت باسم الله وحب جمال أن أكون في طليعة العابرين والله معنا وكان المفروض أن يعاقب — جلال — على حماسة سائد وهو لا يقل عنه حماسة ووطنية وإيمانا بالله وبقائنا في سبيل العروبة وجمال .. ودقت الساعة الثامنة فقال سائد : لقد حان الوقت .. هيا أحضر حاجياتك وسوف انتظر هناك على المحطة لأنها قريبة من هنا .. فقال جلال .. تعال معي لتشجع والدتي وأخوتي فإن رؤياك تخفف من لوعة العراق .. وتمضى سائد لو يعقبه من مرافقته نكبلا يدع مجالا لخرجه أثناء وداع الأسرة وخصوصا أخته .. وعلى مضض رافقه وحدث ما كان يخشاه فعندما صالحتة أخت

جلال مودعة نسيت نفسها وظلت قابضة على يده بكتا يديها وقد دمت
عينها مبرقة بدموعها وخلجات وجهها بمواطنها الجياشة المحتبة ولو لم
يكن بينهما حاجز أقامه سائد بحرصه وتمسكه بأمانة الاخوة لتشبهت
به وقالت له .. أنى أحبك فاذا كرتى واكتب إلى ... لقد نطقت لمحاتها
بانتفاضاتها التي كشفت عن عاطفتها واسكنها لم تجرأ على الكلام .. وظل
نظرها عالقا به حتى غاب عن ناظرها في طريقهما إلى المحطة .. وقبل أن
يتحرك القطار .. كانت واقفة تشير بيديها إليه وشقيقها يظن أنها تودعه
وعاتها لمحبتها وترك والدتها وحدها .. ولم يلاحظ أنها على أثر نزولهما
من البيت ركبت تاكسى لتلحق بهما :

وفي القطار .. إنسرح كل منهما بخياله في الطارق الجديد الذي
طرق قلبه دون أمل ... فالفتاة التي نهت قلب جلال ليست من نصيبه
لأنها حبيبة سائد ولا شك أنها خطيبته والفتاة التي تعاقبت سائد .. هناك
حاجز بينهما لا يمكن اجتيازه ... أنه لا يستطيع أن يبادلها الحب كما
لا يريد أن يفسح لها الطريق لتتعلق به .

* * *

وغمرتاهما مسئولية تحركاتهما فنسى كل منهما العواصف والخواطر
التي شغلته في القاهرة .

وتمت عمالية العبور بمهارة فائقة وتلقى قائد الكتبية تهنئة القائد
بطل الأبطال جمال الذي منح العابرين مع أرق كلمات التشجيع والياشين

الافوز بمناسبة هذا بل كان مجرد زيارة القائد العظيم للجبهة . .
يكفى لتلقيح الجنود بمصل الكفاح العارم والاستماتة في سبيل تحرير
الوطن . . مستشعراً كل جندي لسيد الرئيس وهو يصالحه قوة خفية تسرى
في سرايين الجندي فتدفقه قدما إلى النضال . .

وعلى غير ارتقاب فوجيء جلال بأمر تكليف من القيادة العليا
السكى يرحل إلى ليبيا للانضمام إلى هيئة حراسة قاعدة الطيران
الأمريكية التي حررها الرئيس الشاب البطل المقدم معمر القذافي وآلات
بفضله إلى ليبيا بعد أن ساهمت في العدوان الثلاثي في الاعتداء على
الأراضي المحتلة . .

ودهش — سائد — لماذا اختير — جلال — من بين الفدائيين
إلى المشاركة الفعالة في حراسة قاعدة الطيران . .

واضطرب أن يسأل جلال — لماذا وقع الاختيار عليك ؟ ولم
جلال الصمت برهة ثم قال . . لأنني لبي الجنسية ولأن كنت
لا أستشعر بفارق بين جنسيتي كليون وجنسيتي كعصري . . فقال
— سائد — عجباً . . أن لغتك ولغة أسلافك مصرية . . فقال جلال . .
لأننا لجأنا إلى القاهرة من زمن بعيد هروباً من العهد البائد فلما قامت
ثورة ليبيا أعلننا تأييدنا لقائدها الثائر معمر القذافي الذي اتخذ طريق عبد الناصر
طريقاً له . . ولقد كان من واجبي أن أشارك في الدفاع عن مصر باعتبارها قامة
العروبة ورافعة لواءها وقائدها قائد كل وطن عربي ثائر يتطلع للحرية
ويعمل لتحرير الإنسانية من نير الاستعمار والعبودية .

وشملهما سكون غمر كل منهما بمشاعر لا يعلمها إلا الله . . وقال
سائد بعد أن حاول السيطرة على مشاعره الملتاعة لفراق زميله . . لينك
تحاول أن تأخذني معك للمشاركة في هذه المناسبة السعيدة الخالدة
وخصوصاً أن زعيمنا المحبوب سيذهب ليشارك الشعب الليبي فرحته
وسعادته ولتثبت للعالم مدى قوة التعاون والتضامن العربي ثم تنفس
الصعداء مردفاً لو شعر كل عربي بمعنى العروبة الأصيلة وضرورة التعاون
العربي لأحرزنا بفضل وحدتنا نصراً مبيناً حقاً فقاطعه جلال . . النصر
بحق بإذن الله بفضل وحدة مصر ليبيا والسودان وكل بلد يتحد معهم
في معركة المصير . . وسكت برهة ثم قال . . لقد كنت أمتي النفس بالزواج
من مصريه لآلح الدم المصري بالدم الليبي فضحك — سائد — وقال . .
وما يمنعك . انك ذاهب لتعود . وسوف تكون حياتنا ذهاباً وإياباً
في طريق الوحدة العربية ولا حظ — سائد — أن عواطف جلال
المكبوتة كست وجهه بشحوب شد وجدانه فصعب عليه وتألم له وقال
له . . أجاد أنت في رغبتك من الزواج بمصرية . . قال — جلال — كل
الجد . . على شرط أن تشبهك أو تشبه قريبتك التي رأيتها عند خالتك
لأنها تشبهك تماماً . . قال . . إني أقدم قريبتي تلك . . هدية لك وأشرق
وجه جلال وانتفض كان نصراً لعروبة باتت بشائره وقال . . لا تسخر
مني يا سائد . . أنها حبيبتيك و . . فقاطعه أنها أختي فشد جلال على يده
في ذهول وهو يقول . . واسكنك لم تخبرني من قبل . . قال . . كنت أظن
أنها استشهدت فلما استدعيت خالتي بدعوى أنها مريضة فاجأتني بها . .
إذ أنها كانت جريحة فقط وقد حملها للصليب الأحمر إلى المستشفى وبعد
شفاءها ذهبت لخالتها ولم أشأ أن أصارحك بذلك . . فنظر إليه —

جلال بعينين يفيضان بهجة وأملا وسروراً وبدأت روحه تنفوس المستقبل المشرق بأمل بسام وتعانقا وتبادلا القبلات وقرأ الفاتحة لتكون سلوى زوجة لجلال وقال جلال .. سوف اجعل اسمها بعد الزواج نصرة فقال سائد لك ما شئت وطلب — جلال منه أن يأخذ أجازة سويا لكي يذهبا لعقد هذه الخطبة بوجود العروس والحالة وأسرته فوافق سائد وفي طريقهما حاصرتهما كنيبة إسرائيلية وأسرتهما .. وفي الأسر استطاع سائد أن اتفق مع جلال على طريقة للهرب فإذا قدر سائد النجاة فليذهب إلى القاهرة ويقابل الحالة وبهيء الجو للخطبة .. حتى إذا لحق به جلال وجد الاستعداد كاملا للتنفيذ .. وإذا استطاع جلال أن ينجو بنفسه فليذهب في التو إلى الحالة ويطلب يد سلوى وسوف ترحب به الحالة وتنفذ رغبته في التو ولا شك أن أخته ستكون سعيدة به فقد أبدت إعجابها به بعد أن قابلته يوم زيارته .

وحاول — سائد — أن ينفذ خطة الهرب قبل الميعاد المحدد المتفق عليه بينهما لكي يذهب قبله إلى حالته .. وكتب الله له النجاة فلما ذهب إلى حالة اتفق معها على تنفيذ الخطة التي رسمها وبعد أيام قلائل حضر جلال وسأل الحالة عن سائد فقالت أنه منذ ذهب معك لم يعد فإني سأخبرها أنه أسيراً وقال .. لاشك أن قائده لم يصرح له بالأجازة لنغيب كثير من الفدائيين المصابين .. فطلب منها يد سلوى فوافقت وكانت سلوى عندها وحدد اليوم التالي لعقد الخطبة بحضور أسرته لأنه مضطر إلى السفر لحضور احتفال ليبيا لتحرير لقاعدة الطيران الأمريكية .. وكان لابد أن يعود إلى الجبهة في اليوم التالي ليعلم أسر — سائد — ويتأهب للرحيل إلى ليبيا وفي طريق عودته استطاع بعض الإسرائيليين إصابة بعض الأعراب وكان على مقربة منهم فأصابته قذيفة

ولكنه استطاع أن يخفى وراء الأدغال والأحراش . . ولما تأكد من خلو المكان استطاع أن يزحف رغم النزيف حتى بلغ منطقة آمنة . . .
 واستطاعت إحدى الطائرات المصرية أن تنقذه بعد أن كشفت شارة استغاثة وحملة إلى المستشفى . . واستطاع بعد جهد أن يكتب إلى خطيبته ليبلغها بأنه تحت العلاج في المستشفى العسكري بحلقة الريتون .
 وخفف من وطأة الخبر المفزع أنها على مقربة منه ويمكن زيارته وفي القطار التقت ألوان محتاجة من الجنسيات المصرية والأجنبية الذين يقيمون في مساكن خط الطرية واستطاعت أن تسترق السمع للهمسات الخافتة التي تدور بين الحالسين بجانبها واسترعى اهتمامها حديث امرأة تقول لقريبة لها كما يبدو من حديثهما . لقد نصحته كثيراً بالابتعاد عن هذا الطريق الشائك وأفهمته أن مخبرات عبد الناصر ساهره وهي تشبه المغناطيس الذي يجذب الأخبار والامرار حتى ولو كانت وراء الصحارى والبحار وهو يفسر نصيحتي له وخوفي عليه بخباتي لإسرائيل وإشاري المصريين عليهم ، وقد وقع في القنخ ولكنه استطاع أن يرى نفسه لأنه لأنه من رعايا حكومة الجمهورية العربية ولكنه تحت المراقبة وحياتنا في اضطراب ولا نخلو من الفرع لاي طارىء وجففت دموعها بينما قريبتها تلومها على زواجها منه ثروته الطائلة كالفتاة التي تؤثر المال على الكرامة وحاولت أن تدافع عن نفسها بأنه خدعها يوم تزوجها وقدم المأذون وثيقة إشهار إسلامه ثم تبين بعد العدوان أنه يميل لإسرائيل ويتبرع لها في الخفاء ويتجسس لحسابها وقد طالبت منه الطلاق فصارحها بأن الموت أقرب اليها من الطلاق وهو يخفي عنها كل تصرفاته لأنه لا يطمئن لايها ويجمع بأعرانه خارج بيته ولا تعلم أين يجتمعون ويوم تعرف فإن

تردد مطلقاً في الاتصال بالمسؤولين المصريين واتكن حياتها فداء الوطنها العزيز وهذا وقف الفطار على محطة الحولية فلم تتمكن من معوقة اسم المرأة وزوجها ولاكنها اطمأنت إلى صدق وطنية المرأة وهرعت مسرعة إلى المستشفى لتسأل عن جلال فقيل لها أنه تعافى وقد غادر المستشفى في الصباح فاطمأن قلبها وحدث الله على شفائه وأيقنت أنه ذهب ليطمأن أسرته وصوف يذهب إليها وأسرعت إلى بيتها تنتظرة على أحر من الجمر وبينما تطل من النافذة ترفبه من بعيد سمعت أنيما صادراً من غرفة خالتها ولم تكن نكد نذهب لتبين مصدر الانين حتى وجدت خالتها تن من ألم مفاجيء في صدرها وكان لا بد أن تستدعى الطبيب وبينما هي حانية على خالتها تحاول تخفيف ما ألم بها من إساءات أقبل — جلال وخیل إليه أن ما أصاب الخاله بسبب فجئتها في سائد — فقال لها ليخفف من أساها وعلمت أن سائد هرب من الأسر ولا شك أنه في الطريق إلى هنا . وهنا نظرت إليه الخاله بعينين متكسرتين وقد استشعرت بقرب منيتها وبصوت خفيض متكسر قالت .. أنا واثقه أن سائد لن يعد لقد ذهب بلا رجعة فقال عليها — جلال — حانيا مؤكداً لها أنه سيعود وقد يدخل الآن فجأة فنظرت إليه وهي تبسم يجب أن تعرف الحقيقة يا ولدي لكيلا تنظر سائد أو ترميه . . . لأنه بخانبك ، . . . لأنه . . . سل سلوى تحبيك ولفظت آخر أنفاسها .

قبل أن يرحل رئيسنا المحبوب الخالد جمال عبدالناصر إلى جوار ربه — كُتبت هذه القصة بأيام معدودات فمن إيمانه وإلى روحه أهديتها وإلى كل قارئ يسير في طريقه المرسوم .

جميلة العلايلي

الجميلةتان الشريفتان

جميعه العاليل وشريفة فتحى
شاعر آل البيت الموهوب الاستاذ محمود جبر

في مرسوم الفن سحر الفن أهدانا

مشور الشریفة رقرقا فروانا

وقلت للفن أى الدولتين لها

فقَالَ كَلَامُهَا فَنَا وَتَبَا نَا

فہات اکرم بہا اختا یتوجہا

هذا النبوغ الذي يسمو بدتيانا

و فوق هذا جمان من جماننا

يُضْفِي عَلَى الْفَنِّ إِيقَانًا وَإِيمَانًا

وہی اللہ ابدعت فی کل ما کہتہ

صاغت لنا درها نثرا وأوزانا

الروضتان وسحر من غياهما

يَضُوعُ عَطْرًا وَأَنْغَا وَأَلْمَانَا

محمود جابر

شاعر آل البيت

رسم الغلاف للفضانة الموهوبة (شريفة فتحي)



جميلة العلالي

للمؤلفة :

اجتماعيات	سعادة المرأة النسب مرشد الفتاة
قصة كبيرة	الأميرة
قصة كبيرة	الراهبة
قصة في رسائل	تآكف الأرواح
قصة من الشعر المنشور	الطائر الحائر
قصة كبيرة	إحسان
قصة كبيرة	أمانى
قصة كبيرة	هندية
ديوان شعر	صدى أحلامى
قصة	إيمان الإيمان
ممرحية	المرأة الرحيمة
بقلم كبار الأدباء والشعراء والساسة في العالم العربي مع دراسة لكل كاتب بقلم المؤلفة بمجموعة قصص	أدب الربيع أدب رمضان قضية فلسطين الناسك

تحت الطبع

قصة	آخر المطاف	ديوان شعر	أنفاس قلب
تمثيلية	صانعة الرجال	ديوان شعر	مع الله
للسينما	كلام الله	ديوان شعر	من وحى جمال عبد الناصر
للإذاعة والسينما	مذيع	قصة	وسيط السماء
للسينما	بعد الصبر	قصة	صانعة الرجال

